

(١٣٧٨)

أهواء الذين لا يعلمون

من مصنفات العقيدة

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"فعلى الخلق كلهم اتباع محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يعبدون إلا الله، ويعبدونه بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم لا بغيرها، قال الله تعالى : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴾ [الجاثية : ١٨، ١٩] ،." (١)

"ص -٥٩- ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** ﴾ [الجاثية : ١٨] ، ﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴾ [الجاثية : ١٩] . وهذه قضية كبيرة لها شأن عظيم . ولتعلمن نبأه بعد حين .

ثم قال بعده : وكانوا يطلبون تمام الإخنائية فعندهم ما يطمهم أضعافها، وأقوى فقها منها وأشد مخالفة لأغراضهم . فإن الزملكانية قد بين فيها من نحو خمسين وجها : أن ما حكم به ورسم به مخالف لإجماع المسلمين وما فعلوه لو كان ممن يعرف ما جاء به الرسول ويتعمد مخالفته لكان كفرا وردة عن الإسلام لكنهم جهال دخلوا في شيء، ما كانوا يعرفونه، ولا ظنوا أنه يظهر منه أن السلطنة تخالف مرادهم والأمر أعظم مما ظهر لكم ونحن ولله الحمد على عظيم الجهاد في سبيله . ثم ذكر كلاما وقال : بل جهادنا في هذا مثل جهادنا يوم قازان، والجبلية، والجهمية ، والاتحادية وأمثال ذلك . وذلك من أعظم نعم الله علينا، وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون .." (٢)

"ص -٨٠- فصل: العبادات مبناها على الشرع والاتباع، لا على الهوى والابتداع

فإن الإسلام مبنى على أصلين :

أحدهما : أن نعبد الله وحده لا شريك له .

والثانى : أن نعبده بما شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، لا نعبده بالأهواء والبدع.

قال الله تعالى : ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ الآية [الجاثية : ١٨، ١٩] ،وقال تعالى : ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ [الشورى : ٢١] .

فليس لأحد أن يعبد الله إلا بما شرعه رسوله صلى الله عليه وسلم، من واجب ومستحب، لا نعبده بالأمور المبتدعة، كما ثبت فى السنن من حديث العرباض بن سارية . قال الترمذى : حديث حسن صحيح . وفى

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) /٩

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) /٣١

مسلم أنه كان يقول في خطبته : " خير الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة " .

وليس لأحد أن يعبد إلا الله وحده، فلا يصلى إلا لله، ولا يصوم إلا لله،." (١)

"ص -١٧١- ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ﴾ إلى قوله : ﴿والله ولي المتقين ﴾ [الجاثية : ١٧، ١٨] ، بل يكون متبعا لهواه بغير هدى من الله، قال تعالى : ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ [الشورى : ٢١] ، وهم في ذلك تارة يكونون على بدعة يسمونها حقيقة يقدمونها على ما شرعه الله، وتارة يحتجون بالقدر الكوني على الشريعة، كما أخبر الله به عن المشركين، كما تقدم .

ومن هؤلاء طائفة هم أعلاهم قدرا، وهم مستمسكون بالدين في أداء الفرائض المشهورة، واجتناب المحرمات المشهورة، لكن يغلطون في ترك ما أمروا به من الأسباب التي هي عبادة، ظانين أن العارف إذا شهد [القدر] أعرض عن ذلك، مثل من يجعل التوكل منهم أو الدعاء، ونحو ذلك من مقامات العامة دون الخاصة، بناء على أن من شهد القدر علم أن ما قدر سيكون، فلا حاجة إلى ذلك، وهذا غلط عظيم . فإن الله قدر الأشياء بأسبابها كما قدر السعادة والشقاوة بأسبابها، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : "إن الله خلق للجنة أهلا، خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم، وبعمل أهل الجنة يعملون " ، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم بأن الله كتب المقادير فقالوا : يا رسول الله، أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب ؟ فقال : "لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة، فسييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة، فسييسر لعمل أهل الشقاوة " .." (٢)

"ص -٣٩٥- ويحتجون فيها بأن الله تعالى واعد موسى عليه السلام ثلاثين ليلة وأتمها بعشر . وقد روى أن موسى عليه السلام صامها وصام المسيح أيضا أربعين لله تعالى وخوطب بعدها . فيقولون يحصل بعدها الخطاب والتنزل، كما يقولون في غار حراء حصل بعده نزول الوحي .

وهذا أيضا غلط، فإن هذه ليست من شريعة محمد صلى الله عليه وسلم بل شرعت لموسى عليه السلام كما شرع له السبت والمسلمون لا يسبتون، وكما حرم في شرعه أشياء لم تحرم في شرع محمد صلى الله عليه وسلم . فهذا تمسك بشرع منسوخ، و ذاك تمسك بما كان قبل النبوة .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٩/٢

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١٥٨/٢٧

وقد جرب أن من سلك هذه العبادات البدعية أتته الشياطين، وحصل له تنزل شيطاني، وخطاب شيطاني، وبعضهم يطير به شيطانه، وأعرف من هؤلاء عددا طلبوا أن يحصل لهم من جنس ما حصل للأنبياء من التنزل، فنزلت عليهم الشياطين؛ لأنهم خرجوا عن شريعة النبي صلى الله عليه وسلم التي أمروا بها . قال تعالى : ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** . إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴾ [الجاثية : ١٨، ١٩] .

وكثير منهم لا يحد للخلوة مكانا، ولا زمانا، بل يأمر الإنسان أن يخلو في الجملة .." (١)

"ص -٥٨٤- فإن ما شاء الله كان، وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن، وإن شاءه الناس .

والمقصود بالآية تحذيرهم من متابعة الذين يتبعون الشهوات . والمعنى : إني أريد لكم الخير الذي ينفعكم، وهؤلاء يريدون لكم الشر الذي يضركم، كالشيطان الذي يريد أن يغويكم، وأتباعه هم أهل الشهوات فلا تتخذوه وذريته أولياء من دوني، بل اسلكوا طرق الهدي والرشاد، وإياكم وطرق الغي والفساد . كما قال تعالى : ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾ الآيات [طه : ١٢٣] .

وقوله : ﴿يتبعون الشهوات ﴾ [النساء : ٢٧] ، في الموضعين، فاتباع الشهوة من جنس اتباع الهوى، كما قال تعالى : ﴿أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ [القصص : ٥٠] ، وقال : ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن ﴾ [المؤمنون : ٧١] ، وقال تعالى : ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ﴾ [المائدة : ٧٧] ، وقال تعالى : ﴿أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم ﴾ [محمد : ١٤] ، وقال تعالى : ﴿ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** ﴾ [الجاثية : ١٨] ، وهذا في القرآن كثير .

والهوى : مصدر هوى يهوي هوى، ونفس المهوي يسمى هوى ما يهوى، فاتباعه كاتباع السبيل . كما قال تعالى : ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ﴾." (٢)

"ص -٢١٨- الفروسية بين الشجاع والجبان، وكما أنه يجب الفرق بين النبي الصادق وبين المتنبئ الكذاب، فيفرق بين محمد الصادق الأمين رسول رب العالمين وموسى والمسيح وغيرهم، وبين مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وطليحة الأسدي، والحارث الدمشقي، وباباه الرومي، وغيرهم من الكذابين، وكذلك يفرق بين أولياء الله المتقين وأولياء الشيطان الضالين .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٩/١٦٢

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١٨/١٦٧

فصل

و [الحقيقة] ، حقيقة الدين دين رب العالمين هي ما اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وإن كان لكل منهم شرعة ومنهاج . ف [الشرعة] هي الشريعة، قال الله تعالى : ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ [المائدة : ٤٨] ، وقال تعالى : ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴾ [الجاثية : ١٨، ١٩] .

و [المنهاج] هو الطريق، قال تعالى : ﴿وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا ﴾ [الجن : ١٦، ١٧] .." (١)

"فعلى الخلق كلهم اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فلا يعبدون إلا الله ويعبدونه بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم لا بغيرها قال الله تعالى : ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴾ [الجاثية : ١٨، ١٩] ويجتمعون على ذلك ولا يتفرقون كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم " وعبادة الله تتضمن كمال محبة الله وكمال الذل لله فأصل الدين وقاعدته يتضمن أن يكون الله." (٢)

"ص -١١٤- وقال تعالى في الحج : ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ [الحج : ٣٤] ، ﴿لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر ﴾ [الحج : ٦٧] ، وذكر في أثناء السورة : ﴿ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾ [الحج : ٤٠] ، فبين أنه هو جعل المناسك، وذكر مواضع العبادات، كما ذكر في البقرة الوجهة التي يتوجهون إليها، وقال في سورة الجاثية بعد أن ذكر بني إسرائيل : ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ الآية [الجاثية : ١٨] ، وقال في النسخ ووجوب اتباعهم للرسول : ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ﴾ إلى قوله : ﴿وأنا معكم من الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٨١] ، وقال : ﴿فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ﴾ الآية والتي بعدها [الأعراف : ١٥٦،

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٧٠/١٨٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٣٤/١٩٥

١٥٧] ، وقد تقدم ما في البقرة وآل عمران من أمرهم بالإيمان بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك في سورة النساء، وهو كثير في القرآن .

فصل

قال الله تعالى لنا : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ ".، (١)

"ص –٤٩٠– وقال : ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ [الجاثية : ١٨] . وقال تعالى : ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ ، ثم قال : ﴿وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ [البقرة : ٢١٣] . فأخبر أن الله هدي المؤمنين لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه . فكان الاختلاف قبل وجود أمة محمد صلى الله عليه وسلم . وقال تعالى : ﴿إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ [النحل : ١٢٤] . وقال تعالى : ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ [يونس : ٩٣] ، ثم قال تعالى : ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ﴾ [يونس : ٩٤] .

وقال تعالى :." (٢)

"ص –٤٢٦– وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين﴾ وقال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾. وقوله: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾. ونهى عن موالاتهم فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾. وقد أخبر أن الله ولي المتقين فقال: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١٣/٢٤٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١٢/٢٥٥

فلو كانوا من المتقين فضلا عن أن يكونوا هم المتقين لكان الله وليهم ولكانت موالاتهم واجبة على المؤمنين وهو قد نهى عن موالاتهم وجعل من يتولاهم ظالما وجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض والكفار بعضهم أولياء بعض ولهذا لما قطع الله الموالاة بين المؤمنين وبين الكافرين.

قال النبي في الحديث الصحيح: "لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم".

واتفق المسلمون على أن اليهودي والنصراني لا يرث مسلما ولو كان ابنه وأباه لأن الله قطع الموالاة بينهما وقد قال تعالى: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الأيمان وأيدهم بروح منه﴾ وأيضا فإنه قال تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة﴾ وهي الصلاة التي أمر بها في قوله: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس." (١)

" وقد قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون سورة الزخرف ٣٦ ٣٩

وقد قال تعالى ثم جعلناك على شريعة من الأمر فآتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين سورة الجاثية ١٨ ١٩ فالشريعة التي جعله عليها تتضمن ما أمر به وكل حب وذوق ووجد لا تشهد له هذه الشريعة فهو من **أهواء الذين لا يعلمون** فإن العلم بما يحبه الله إنما هو ما أنزله الله إلى عباده من هداه

ولهذا قال في إحدى الآيتين وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم سورة الأنعام ١١٩ وقال في الآية الأخرى فإن لم يستجيبوا لك فآعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله سورة القصص ٥٠

فكل من اتبع ذوقا أو وجدا بغير هدى من الله سواء كان ذلك عن حب أو بغض فليس لأحد أن يتبع ما يحبه فيأمر به ويتخذه دينا وينهى عما يبغضه ويذمه ويتخذ ذلك دينا إلا بهدى من الله وهو شريعة الله التي جعل عليها رسوله ومن اتبع ما يهواه حبا وبغضا بغير الشريعة فقد اتبع هواه بغير هدى من الله ." (٢)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤٨٢/٢

(٢) الاستقامة ٢٥٣/١

"ص –٩٧– وافقناهم، أو خالفناهم فيه، ومن نفس مشاركتهم فيه، وهذا هو الغالب، على الموافقة والمخالفة المأمور بهما، والمنهي عنهما، فلابد من التفطن لهذا المعنى، فإنه به يعرف معنى نهي الله لنا عن إتباعهم، وموافقتهم مطلقا ومقيدا.

كتاب الله – دلالته بالإجمال والعموم، والسنة تفسره وتبينه

واعلم: أن دلالة الكتاب على خصوص الأعمال وتفاصيلها، إنما يقع بطريق الإجمال والعموم، أو الإستلزام، وإنما السنة هي التي تفسر الكتاب وتبينه وتدل عليه، وتعبر عنه، فنحن نذكر من آيات الكتاب ما يدل على أصل هذه القاعدة – في الجملة – ثم نتبع ذلك الأحاديث المفسرة في أثناء الآيات وبعدها.

الاستدلال من القرآن على النهي عن إتباع الكافرين – آيات الجاثية ١٦ إلى ١٩ ووجه الاستدلال بها

قال الله سبحانه: ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** إنهم لن يغنوا." (١)

"ص –٩٨– عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾.

أخبر سبحانه، أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغيا من بعضهم على بعض.

ثم جعل محمدا صلى الله عليه وسلم على شريعة شرعها له، وأمره بإتباعها، ونهاه عن إتباع **أهواء الذين لا يعلمون**، وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته.

وأهواؤهم: هو ما يهوونه، وما عليه المشركون من هديهم الظاهر، الذي هو من موجبات دينهم الباطل، وتوابع ذلك فهم يهوونه، وموافقتهم فيه، إتباع لما يهوونه، ولهذا: يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم، ويسرون به، ويودون أن لو بذلوا عظيما ليحصل ذلك، ولو فرض أن ليس الفعل من إتباع أهوائهم فلا ريب أن مخالفتهم في ذلك أحسم لمادة متابعتهم وأعون على حصول مرضاة الله في تركها، وأن موافقتهم في ذلك قد تكون ذريعة إلى موافقتهم في غيره، فإن " من حام حول الحمى أوشك أن يواقعه " وأي الأمرين كان، حصل المقصود في الجملة، وإن كان الأول أظهر.." (٢)

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٤/٤

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٥/٤

"كان حقا – مأخوذا عما جاء به الرسول، موجودا فيمن قبله، وكل قول قيل في دين الإسلام، مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون، لم يقله أحد منهم بل قالوا خلافه، فإنه قول باطل.

والمقصود هنا أن الله – تعالى – ذكر أن المختلفين جاءتهم البينة، وجاءهم العلم، وإنما اختلفوا بغيا. ولهذا ذمهم الله وعاقبهم ؛ فإنهم لم يكونوا مجتهدين مخطئين (١) ، بل كانوا قاصدين البغي، عالمين بالحق، [معرضين عن القول وعن العمل به] (٢) .

ونظير هذا قوله: ﴿إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم﴾ [سورة آل عمران: ١٩] قال الزجاج: اختلفوا للبغي لا لقصد البرهان.

وقال – تعالى –: ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ [سورة يونس: ٩٣] .

وقال – تعالى –: ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين – وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم – إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون – ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** – إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين – هذا بصائر للناس وهدى ورحمة﴾ [سورة الجاثية: ١٦ – ٢٠] .

---

(١) ن: مخلصين.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) ، (و) ، (أ) .." [1]

"ولم ترد به الشرك (١) ، بل أرادت التقي الذي يتقى فلا يقدم (٢) على الفجور.

وقال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [سورة الطلاق: ١ – ٢] .

وقال تعالى: ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم﴾ [سورة الأنفال: ٢٩] .

وقال تعالى: ﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ [سورة يوسف: ٩٠] .

وقال تعالى: ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾ [سورة آل عمران: ١٨٦] .

وقال – تعالى –: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ إلى قوله:

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥/٢٦٣

﴿والله ولي المتقين﴾ [سورة الجاثية: ١٨ - ١٩] .
وقال: ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا - يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠ - ٧١] فهم قد آمنوا و اتقوا الشرك فلم يكن الذي أمرهم به بعد ذلك مجرد ترك الشرك.
وقال تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢] .

---

(١) عند عبارة ولم ترد به الشرك تعود نسخة (ي) بعد السقط الطويل الذي أشرت من قبل إلى أوله.
(٢) ح، ب، ي، ر: أرادت التقي الذي لا يقدم، أ، و: أرادت الذي يتقى فلا يتقدم.." (١)
"[سورة النساء: ١٧١] . وقال تعالى] (١) : ﴿ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾ [سورة المائدة: ٧٧] أي: وسط الطريق، وهي السبيل القصد الذي قال الله فيها: ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ [سورة النحل: ٩] ، وهي الصراط المستقيم، فأخبر بتقدم ضلالهم، ثم ذكر صفة ضلالهم.
والأهواء هي إرادات النفس (٢) بغير علم، فكل من فعل ما تريده نفسه بغير علم يبين أنه مصلحة فهو متبع هواه، والعلم بالذي هو مصلحة العبد عند الله في الآخرة هو [العلم] (٣) الذي [جاءت] (٤) به الرسل.
قال تعالى: ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ [سورة القصص: ٥٠] .
وقال تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير﴾ [سورة البقرة: ١٢٠] .
وقال تعالى: ﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾ [سورة المائدة: ٤٨] .
وقال تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ [سورة الجاثية: ١٨] .

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) .
(٢) ن: النفوس

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥/٢٨٩

(٣) العلم: ساقطة من (ن) ، (و) .

(٤) جاءت ساقطة من (ن) .." [1]

"أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى (٢٦)) (١) .

وقال تعالى: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) (٢) .

وقال: (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) (٣) .

وكتب الله من أولها إلى آخرها تأمر بإخلاص الدين لله، لاسيما الكتاب الذي بعث به محمد – صلى الله عليه وسلم –، أو الشريعة التي جاء بها، فإنها كملت الدين، قال تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم) (٤) ، وقال: (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨)) (٥) .

وقد جعل قوام الأمر بالإخلاص لله والعدل في الأمور كلها، كما قال تعالى: (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون (٢٩) فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) (٦) .

ولقد خلص للنبي – صلى الله عليه وسلم – التوحيد من دقيق الشرك وجليله، حتى قال: "من حلف بغير الله فقد أشرك". رواه الترمذي وصححه (٧) .

وقال: "إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفا

---

(١) سورة النجم: ٢٦.

(٢) سورة الأنبياء: ٢٨.

(٣) سورة سبأ: ٢٣.

(٤) سورة المائدة: ٣.

(٥) سورة الجاثية: ١٨.

(٦) سورة الأعراف: ٢٩– ٣٠.

(٧) أخرجه أحمد (٢/٣٤، ٥٨، ٦٠، ٦٩، ٨٦، ١٢٥) وأبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥) عن ابن عمر.." [2]

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥/٣٣٠

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٣/١١٢

"وهؤلاء الفجار المنتسبون إلى علم أو دين أو إمرة أو رئاسة كالذين قال الله تعالى فيهم: (إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) إلى أن قال تعالى: (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم (٣٤)) (١) وقد قالي تعالي كتابه: (اهدنا الصراط المستقيم (٦) صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (٧)) (٢) ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "المغضوب عليهم: اليهود، والضالين هم: النصارى" (٣) . قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قال العلماء: فمن أوتي علما فلم يعمل به كان فيه شبه من اليهود الذين عرفوا الحق ولم يتبعوه، ومن عبد الله بلا علم كان فيه شبه من النصارى الذين ابتدعوا الرهبانية وعبدوه بغير شريعة.

وأما المؤمنون حقا فهم المتمسكون بالشريعة والمنهاج المحمدي كما قال تعالى: (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) (٤) وقال تعالى: (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨)) (٥) .

(١) سورة التوبة: ٣٤.

(٢) سورة الفاتحة: ٦-٧.

(٣) أخرجه أحمد (٣٧٨/٤) والترمذي (٢٩٥٣، ٢٩٥٤) عن عدي بن حاتم.

وانظر تفسير ابن كثير (١٦٤/١-١٦٥) .

(٤) سورة المائدة: ٤٨.

(٥) سورة الجاثية: ١٨.." (١)

"إن الإسلام يقر العادات الحسنة مثل الكرم والصدق والشجاعة والوفاء وحسن الجوار وهذه الأخلاق أتى بها الإسلام. فهي من الإسلام. فالإسلام دين الشمولية والكمال والوفاء والصفاء والعدل والإنصاف.

والإسلام يرفض الظلم بجميع صوره ويرفض العصبية والعنجهية والتلاعب بالدماء والأموال والمتاجرة بهما. فالعادات القبلية منها المقبول وهو ما وافق الشرع ومنها المردود وهو ما خالف الشرع فموضوعنا في هذا

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٢١٧/٥

الكتاب لا يتناول العادات القبلية بشكل عام وإنما يتناول التحاكم إلى العادات والأعراف القبلية والرجوع إليها أثناء النزاع والإعراض عن الكتاب والسنة.

وجوب التحاكم إلى الشريعة الإسلامية ونبذ ما خلفها من قوانين وضعية وأعراف جاهلية:

إن شرعة الحكيم الخبير عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث ليست من الشريعة وإن أدخلها المتأولون فيها . فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أتم دلالة وأصدقها وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها وحاصل بها وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها (١) .

قال تعالى : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴾ . (سورة الجاثية ، الآيات ١٨–٢٠).

(١) أعلام الموقعين لابن القيم، بتصرف يسير .." (١)

"الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض ، والله ولي المتقين (١٣) ، ثم قال الله تعالى : هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون (١٤)

٤ – أخبرنا أبو بكر عمر بن سعيد القراطيسي قال : ثنا@." (٢)

"قال الله تعالى لنبيه محمد – صلى الله عليه وسلم –: (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع

أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي

(١) الإيمان لابن منده ٣٩٥ ص/٣

(٢) الشريعة للآجري ٢٨١/١

المتقين). **وأهواء الذين لا يعلمون** هو: ما يهوونه من الباطل فإنه لا ينبغي للعالم أن يتبع الجاهل فيما يفعله من هوى نفسه.

قال الله تعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم –: (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين). فإذا كان هذا خطابه لنبيه – صلى الله عليه وسلم – فكيف حال غيره إذا وافق الجاهلين أو الكافرين وفعل كما يفعلون مما لم يأذن به الله ورسوله!! ويتابعهم فيما يختصون به من دينهم وتوابع دينهم!! وترى اليوم كثيرا من علماء المسلمين الذين يعلمون العلم الظاهر وهم منسلخون منه في الباطن يصنعون ذلك مع الجاهلين في مواسم الكافرين بالتشبه بالكافرين] (١).

١٠. وقال السيوطي أيضا: [واعلم أنه لم يكن على عهد السلف السابقين من المسلمين من يشاركهم في شيء من ذلك فالمؤمن حقا هو السالك طريق السلف الصالحين المقتفي لآثار نبيه سيد المرسلين المقتدي بمن أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين جعلنا الله منهم بمنه وكرمه إنه جواد كريم ولا ينظر الرجل إلى كثرة الجاهلين الواقعين في مشابهة الكافرين والعلماء الغافلين وموافقتهم فقد قال السيد الجليل الفضيل بن عياض – رضي الله عنه –: عليك بطريق الهدى وإن قل السالكون واجتنب طريق الردى وإن كثر الهالكون. اللهم اجعلنا من المهتدين المتبعين لآثار سبيل الصالحين ولا تجعلنا من الهالكين المتبعين لآثار سبيل الكافرين الضالين

(١) المصدر السابق ص ١٤٦.." (١)

"الأدلة على عدم شرعيته

ويستدل أيضا على عدم شرعية الاحتفال بذكرى الهجرة بما يلي:

١. إن ما جرى في الزمان من الأحداث والوقائع كالهجرة النبوية وليلة الإسراء والمعراج وغزوات النبي – صلى الله عليه وسلم – وغيرها من الأحداث العظيمة لا يوجب ذلك أن تتخذ ذكريات هذه المناسبات مواسم وأعيادا يحتفل بها أو تعظم على غيرها وتخصص ببعض العبادات وذلك لأنها لم تعظم أو تخصص من قبل الشرع.

٢. من القواعد الشرعية المعروفة أن العبادة توقيفية كما قال تعالى: (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**) (١).

(١) اتباع لا ابتداع – قواعد وأسس في السنة والبدعة ص/٢٣١

وقال نبيه – صلى الله عليه وسلم –: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) ولا ريب أن الأعياد والمواسم الدينية من مسائل العبادة وكذا طلب البركة والخير والأجر في زمان معين وليس في الشريعة الإسلامية ما يجيز التبرك أو الاحتفال بتلك المواسم ولذا لم يؤثر ذلك عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا عن صحابته ولا عن التابعين لهم بإحسان. ففعل ذلك من البدع التي أحدثها الناس في الدين مع ما فيها من التشبه بأهل الكتاب ومع ما قد تتضمنه من المفاسد.

٣. إذا كانت إقامة الاحتفالات والأعياد بهذه المناسبات من باب شكر الله تعالى أو تعظيم نبيه – صلى الله عليه وسلم – كما يدعي بعضهم، فالجواب على هذا: أن شكر الله تعالى إنما يكون بطاعته وعبادته عز وجل على وفق شرعه سبحانه وتعالى كما أن تعظيم النبي – صلى الله عليه وسلم – واحترامه يكون بطاعته أيضا ومحبته والصلاة عليه واتباع سنته عليه أفضل الصلاة والسلام وعدم الابتداع في الدين.

---

(١) سورة الجاثية الآية ١٨.." (١)

"الإسلام مبني على أصلين عظيمين وهما الإخلاص والمتابعة

قال رحمه الله تعالى: فإن الإسلام مبني على أصلين: أحدهما: أن نعبد الله وحده لا شريك له.

والثاني: أن نعبده بما شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، لا نعبده بالأهواء والبدع، قال الله تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا﴾ [الجاثية:١٨ – ١٩] الآية، وقال تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ [الشورى:٢١].

فليس لأحد أن يعبد الله إلا بما شرعه رسوله صلى الله عليه وسلم، من واجب ومستحب، لا يعبده بالأمور المبتدعة، كما ثبت في السنن من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وفي مسلم: (أنه كان يقول في خطبته: خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة).

وليس لأحد أن يعبد إلا الله وحده، فلا يصلي إلا لله، ولا يصوم إلا لله، ولا يحج إلا بيت الله، ولا يتوكل إلا على الله، ولا يخاف إلا الله، ولا ينذر إلا لله ولا يحلف إلا بالله، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت)، وفي

---

(١) اتباع لا ابتداع – قواعد وأسس في السنة والبدعة ص/٢٤٢

السنن: (من حلف بغير الله فقد أشرك)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا.

لأن الحلف بغير الله شرك، والحلف بالله توحيد.

وتوحيد معه كذب خير من شرك معه صدق، ولهذا كان غاية الكذب أن يعدل بالشرك، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (عدلت شهادة الزور الإشراك بالله) مرتين أو ثلاثا، وقرأ قوله تعالى: ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ [الحج:٣١]، وإذا كان الحالف بغير الله قد أشرك فكيف الناذر لغير الله؟ والنذر أعظم من الحلف، ولهذا لو نذر لغير الله فلا يجب الوفاء به باتفاق المسلمين، مثل: أن ينذر لغير الله صلاة، أو صوما، أو حجا، أو عمرة، أو صدقة.

ولو حلف ليفعلن شيئا لم يجب عليه أن يفعله، قيل: يجوز له أن يكفر عن اليمين، ولا يفعل المحلوف عليه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير، وليكفر عن يمينه)، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أنه نهى عن النذر وقال: إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل)، فإذا كان النذر لا يأتي بخير فكيف بالنذر للمخلوق؟ ولكن النذر لله يجب الوفاء به إذا كان في طاعة، وإذا كان معصية لم يجز الوفاء باتفاق العلماء، فإنما تنازعوا: هل فيه بدل أو كفارة يمين أم لا؟ لما رواه البخاري في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه).

فمن ظن أن النذر للمخلوقين يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة فهو من الضالين، كالذين يظنون أن عبادة المخلوقين تجلب لهم منفعة أو تدفع عنهم مضرة.

وهؤلاء المشركون قد تتمثل لهم الشياطين، وقد تخاطبهم بكلام، وقد تحمل أحدهم في الهواء، وقد تخبره ببعض الأمور الغائبة، وقد تأتيه بنفقة أو طعام أو كسوة أو غير ذلك، كما جرى مثل ذلك لعباد الأصنام من العرب وغير العرب، وهذا كثير، موجود في هذا الزمان وغير هذا الزمان، للضالين المبتدعين المخالفين للكتاب والسنة، إما بعبادة غير الله، وإما بعبادة لم يشرعها الله.

وهؤلاء إذا أظهر أحدهم شيئا خارقا للعادة لم يخرج عن أن يكون حالا شيطانيا، أو محالا بهتانيا، فخواصهم تقترن بهم الشياطين، كما يقع لبعض العقلاء منهم، وقد يحصل ذلك لغير هؤلاء، لكن لا تقترن بهم الشياطين إلا مع نوع من البدعة، إما كفر وإما فسق، وإما جهل بالشرع، فإن الشيطان قصده إغواء بحسب قدرته، فإن قدر على أن يجعلهم كفارا جعلهم كفارا، وإن لم يقدر إلا على جعلهم فساقا أو عصاة، وإن لم

يقدر إلا على نقص عملهم ودينهم ببدعة يرتكبونها يخالفون بها الشريعة التي بعث الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم فينتفع منهم بذلك!! ولهذا قال الأئمة: لو رأيتم الرجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء، فلا تغتروا به حتى تنظروا وقوفه عند الأمر والنهي.

ولهذا يوجد كثير من الناس يطير في الهواء وتكون الشياطين هي التي تحمله، لا يكون من كرامات أولياء الله المتقين].." (١)

"والمسألة الثالثة .. كما ذكرنا أن هذه المسألة قائمة ومبنية على أصل ألا وهو: مخالفة الكفار، وإن شئت قل: مخالفة أهل الجاهلية، وهذا الأمر كما ذكرنا مجمع عليه، قد دل عليه الكتاب والسنة و .. والإجماع، وابن تيمية رحمه الله تعالى ألف (الاقتضاء) لبيان هذه المسألة، وقد دلل واستوعب المسألة من جميع الوجوه، استقرأ النصوص المهمة التي يمكن ذكرها واستنباطها من أحكام الجاهلية منها، وهذا الكتاب كذلك .. اختصره البعلي رحمه الله تعالى في المنهج القويم .. لا اذكره .. اختصار (اقتضاء الصراط المستقيم) وهو مطبوع، كلا الكتابين مطبوع، لكن شيخ الإسلام رح .. رحمه الله تعالى كعادته يستطرد وقد يشكل على بعض الطلاب، حينئذ يقتصر على المختصر وهو جيد، إذا دل الكتاب والسنة والإجماع على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن مشابهتهم في الجملة سواء كان عاما في جميع أنواع المخالفات أو خاصا ببعضها وسواء كان أمر إيجاب أو أمر استحباب، فأما الكتاب فقوله تعالى، نذكر بعض الأدلة التي ذكرها رحمه الله تعالى مع شيء من .. من التعليق، وقوله تعالى ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم﴾ قال هنا ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب﴾ إذا خشوع القلوب مما ينافى به أمر الجاهلية وهو قسوة القلوب، فقسوة القلب هذه صفة من صفات الجاهلية والله المستعان، وقوله ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة﴾ إلى أن قال ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ ، ﴿ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ وهذا وصف لمن كان قبل الجاهلية، قال رحمه لله تعالى . ابن تيمية .: فأخبر الله عز وجل أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغيا من بعضهم على بعض ثم جعل محمدا صلى الله عليه وسلم على شريعة وأمره باتباعها ونهاه عن اتباع **أهواء الذين لا يعلمون** فدخل فيهم كل من خالف شريعته.." (٢)

---

(١) شرح باب توحيد الألوهية من فتاوى ابن تيمية، ناصر العقل ٨/٧

(٢) شرح مسائل الجاهلية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢/١٧

"يتبعون الهوى، الهوى ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة، وقيل: سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية، قد عظم الله تعالى ذم إتباع الهوى فقال: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ [الجاثية: ٢٣]. وقالوا: ﴿ولا تتبع الهوى﴾ [ص: ٢٦]، ﴿واتبع هواه﴾. وقالوا: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾. فإنما قاله بلفظ الجمع تنبيها على أن لكل واحد هوى غير هوى الآخر، يعني: تعددت، ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾، إذا الأهواء متعددة، ثم هوى كل واحد لا ينتهي، فإذا إتباع أهوائهم نهاية الضلال والحيرة، قال تعالى: ﴿ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ [الجاثية: ١٨]. إذا (فيتبعون الهوى والظن) معلوم الظن أنه اسم لما يحصل عن أمارة، ومتى قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت لم يتجاوز حد التوهم، والظن في كثير من الأمور مذموم، ﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظنا﴾ [يونس: ٣٦] قال هنا: (كل ما تقدم). من المسائل، (مبني على قاعدة) عندهم عند أهل الجاهلية، (وهي النفي والإثبات)، الإثبات لما نفاه الله، والنفي لما أراده الله عز وجل، فأثبت الله التوحيد ونفى الشرك، ماذا صنعوا؟ عكسوا، أثبتوا الشرك ونفوا التوحيد، وقل كذلك في سائر الأمور، إذا كل ما تقدم من المسائل عن خصال أهل الجاهلية إنما هي مبنية على قاعدة النفي والإثبات، فهم يثبتون ما نفاه الله وينفون ما أثبته الله، فأثبت الله التوحيد ونفى الشرك وهم عكسوا، كما قال تعالى: ﴿والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله﴾ [العنكبوت: ٥٢]. [هم أرادوا] أراد الله عز وجل منهم أن يكفروا بالباطل ويؤمنوا بالله، لكنهم ماذا صنعوا؟ عكسوا أثبتوا ما نفاه الله وهو الإيمان بالباطل، وكذبوا ونفوا ما أراده الله وهو الإيمان بالله تعالى، فالإيمان بالباطل هو المنفي وهم أثبتوه وآمنوا به بدلا من أن يكفروا به، والإيمان بالله هو المثبت وهم كفروا به، (فيتبعون الهوى والظن) وهذا مستند إثباتهم، (ويعرضون عما جاءت به الرسل) أعرض عن كذا معناه ولى مبديا عرضه كما هو المشهور عند أهل العلم، (فيتبعون الهوى والظن) وهذا مستند إثباتهم (ويعرضون عما جاءت به الرسل) وهذا مستند النفي، وهي نفي للحق، والظن معروف والهوى كما ذكرناه سابقا.." (١)

"تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون﴾ [الروم: ٣١] فهل بقي رحمكم الله أوضح من هذا البرهان أو أشفى من هذا البيان، وقد أعلمنا الله تعالى أنه قد خلق خلقا للاختلاف والفرقة، وحذرنا أن نكون كهم لهم، واستثنى أهل رحمته لنواظب على المسألة أن يجعلنا منهم فقال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [هود: ١١٨] ثم حذر نبيه – صلى

(١) شرح مسائل الجاهلية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٣٠/٥

الله عليه وسلم – أن يتبع أهل الأهواء المختلفين وآراء المتقدمين، فقال عز وجل: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ [المائدة: ٤٩]، وقال: ﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال: ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ [الجاثية: ١٦]، وقال عز وجل فيما ذم به المخالفين: فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون﴾ [المؤمنون: ٥٣] "

وعن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ [الأنعام: ٦٨]، وقوله: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه﴾ [آل عمران: ٧]، وقوله: ﴿ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقوله: ﴿أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ [الشورى: ١٣]، وقوله: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقوله: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقوله: ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ [الأنبياء: ٩٣]. ونحو هذا في القرآن." (١)

"حتى يدعون له بالنصر، ومرة ثانية أمام شدة المرض يرسل وراء القسيس حتى يصلي له ويستغفر.

د. ومادامت ربانية فالناس أمامها سواء، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، فالله خالق الناس أجمعين فكلهم عبيده، وهو لا يفضل لونا على لون، الأبيض على الأسود –كما هو الحال في القانون الأمريكي– عن أبى نضرة حدثنى من سمع خطبة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى وسط أيام التشريق فقال «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربى على أعجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى أبلغت» (أخرجه أحمد) (١).

ولا يفضل الرجال على النساء من باب قوله تعالى: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (النحل:٩٧)،وليس من باب قوله تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم .. ﴾ (٣٤) سورة النساء،

---

(١) الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل، علي بن نايف الشحود ص/٤١٥

فتأمل الفرق .. ولا يحابيهم سبحانه -لأن الرجل والمرأة كلهم خلقه- ولا يفضل طبقة على طبقة كالأشراف على العبيد، ولا يفضل جنسا على جنس، كتفضيل العرق الآري والجنس الأبيض على غيره (وألمانيا فوق الجميع)،ولذا فهي العقيدة الوحيدة التي تنصف الناس وتعدل بينهم، والناس يقفون فيها على قدم المساواة حاكمهم ومحكومهم سواء. قال تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾. (الأنعام:١١٥)

٢ - ومن خصائص هذه العقيدة أنها ثابتة:

قال تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ (١٨) سورة الجاثية.

وثبات العقيدة ناتج عن أنها منزلة من عند الله، وقد انقطع الوحي بالتحاق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالرفيق الأعلى من الجنة، وبقيت النصوص ثابتة إلى يوم الدين لا ينسخها ناسخ ولا

---

(١) - برقم (٢٤٢٠٤) وهو صحيح." [١]

"المخالف لما بعث الله به رسوله لا يكون متبعا للدين

قال شيخ الإسلام رحمه الله: [فالمخالف لما بعث الله به رسوله من عبادته وحده وطاعته وطاعة رسوله لا يكون متبعا لدين شرعه الله أبدا].

فالمخالف لا يمكن أن يكون متبعا لدين شرعه الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها﴾ [الجاثية:١٨] هذا نوع، ﴿ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ [الجاثية:١٨] وهذا في المقابل، ﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ [الجاثية:١٩]، بل يكون متبعا لهواه بغير هدى من الله، قال الله تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ [الشورى:٢١].

فلا يمكن أن يجتمع محبة الله مع محبة غيره في قلب عبد، والمقصود بالمحبة: المحبة العبادية التي تدل على التعظيم كما سبق أن بينا.

قال: [وهم في ذلك تارة يكونون على بدعة يسمونها حقيقة يقدمونها على ما شرعه الله، وتارة يحتجون

---

(١) أركان الإيمان، علي بن نايف الشحود ص/٢١٠

بالقدر الكوني على الشريعة، كما أخبر الله به عن المشركين كما تقدم، وقد سبق أن شرحنا كلامه هذا فيما سبق.

وبهذا نكون قد انتهينا من الكلام على الطائفة الثانية من مراتب الضالين في الحقيقة الكونية.." (١)

"تقديمهم للذوق والوجد على النص الشرعي

قال رحمه الله: [فأهل الإيمان لهم من الذوق والوجد مثل ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار)، وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا).

وأما أهل الكفر والبدع والشهوات فكل بحسبه] مراد الشيخ هنا: هو أن الصوفية قدموا أذواقهم على النص الشرعي، والحقيقة أن الذوق هو بحسبه؛ فأهل الإيمان من أهل العقيدة الصحيحة لهم ذوق خاص، لكن هذا الذوق يكون باتباع الكتاب والسنة، وفي الحديث: (من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان) فله طعم وله حلاوة وله ذوق خاص، لكن هذا الذوق الوارد في ا لأحاديث الصحيحة ذوق في اتباع الكتاب والسنة.

وأما أهل البدع فلكل مبتدع ذوقه الخاص، فإذا كانت هذه الأذواق توضع كعقبات دون اتباع الكتاب والسنة فهذا هو الضلال المبين.

قال: [قيل لـ سفيان بن عيينة: ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديدة لأهوائهم؟ فقال: أنسيت قوله تعالى: ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ [البقرة:٩٣] أو نحو هذا من الكلام.

فعباد الأصنام يحبون آلهتهم كما قال تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة:١٦٥] وقال: ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ [القصص:٥٠] وقال: ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ [النجم:٢٣] ولهذا يميل هؤلاء إلى سماع الشعر والأصوات التي تهيج المحبة المطلقة التي لا تختص بأهل الإيمان، بل يشترك فيها محب الرحمن ومحب الأوثان ومحب الصلبان ومحب الأوطان ومحب الإخوان ومحب المردان ومحب النسوان؛ وهؤلاء الذين يتبعون أذواقهم ومواجيدهم من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة].

---

(١) شرح رسالة العبودية لابن تيمية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ١٠/٢٣

يعني: الصوفية من الأمور التي ينمي الذوق عندهم: هو سماعهم للأناشيد والغناء، وتلذذهم بالأصوات الحسنة، وتعلقهم بهذا الأمر، مع أن هذا الأمر ليس من الأمور التي يبنى عليها مدح أو ذم، فجمال الصوت أو جمال الصورة ونحوها من الأمور الدنيوية لا يترتب عليها مدح في ذاتها، وإنما يكون المدح باتباع الكتاب والسنة.

ولهذا أشغلهم السماع، والتعبد بسماع الأصوات والتعلق بها عن سماع كتاب الله عز وجل وقراءته وتدبره فضلا عن حفظ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم والتفقه فيها.

وهناك كتاب لـ ابن القيم رحمه الله كبير، اسمه السماع تحدث فيه عن هذه البدعة التي جاء بها الصوفية وهي: تلذذهم وتعلقهم بسماع الأصوات والطرب، والتعلق بالأغاني والأناشيد، وقد يستخدمون فيها الطبل، وقد يستخدمون فيها المزامير، وقد يكون الشخص المغني أو الشخص الذي يقوم بهذا الإنشاد فاسقا، إلا أنهم يفضلونه ويعظمونه ويرون أنه مقدم عندهم.

إذا: هؤلاء ابتعدوا كثيرا عن الكتاب والسنة، سواء في الوسيلة أو في الغاية أو في الذوق الناتج عن هذه الأعمال التي يقومون بها، فعباداتهم ليست كعبادات المسلمين المعروفة من الصلاة والصيام والتعلق بما عند الله عز وجل، والتوكل على الله ومحبته، وإنما هي أصوات وطرب وغناء ورقص يتعبدون لله عز وجل بها، وهذا ابتداع ولا شك؛ ولهذا أوصلهم إلى هذه العقائد المضلة.

والغناء له جانبان: * جانب يقوم به أهل الفسق، وهذا الجانب الذي يقوم به أهل الفسق هو الغناء المعروف الذي يتحدث عن غزل النسوان والتعلق بهن ونحو ذلك، ويستخدمون فيه المعازف وآلات الطرب.

* وهناك نوع آخر من الغناء يقوم به الصوفية يتعبدون لله به. يجتمعون فيما يسمى بالحضرة، يرقصون ويطبلون ويغنون، وقد يصبح عند بعضهم شطح، فيتكلم بكلام لا يعقله، وقد يكون هذا الكلام فيه ردة وكفر، والعياذ بالله يتعبدون لله بهذه الطريقة، ويتركون العبادات الشرعية من الصلاة والصيام والذكر وقراءة القرآن وحفظ الحديث ودراسة العلم ونحو ذلك من الأعمال الفاضلة والطيبة.

قال: [فالمخالف لما بعث الله به رسوله من عبادته وحده، وطاعته وطاعة رسوله! لا يكون متبعا لدين شرعه الله أبدا، كما قال تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين).[1]

(١) شرح رسالة العبودية لابن تيمية – عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٣/٤

"إخبار الله أمة محمد بأنه خلق خلقا للابتلاء والفرقة وتحذيره سبحانه من متابعتهم

[وقد أعلمنا الله تعالى أنه قد خلق خلقا للاختلاف والفرقة، وحذرنا أن نكون كهم لهم -أي: أن نتمثل بصفاتهم- واستثنى أهل رحمته لنواظب على المسألة أن يجعلنا منهم، فقال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [هود:١١٨ - ١١٩].

ثم حذر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتبع أهل الأهواء المختلفين وآراء المتقدمين، فقال عز وجل: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾ [المائدة:٤٩]-أي: يا محمد! إذا أتاك الخصمان فاحكم بينهما بما أنزل الله- ﴿ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ [المائدة:٤٩].

وقال: ﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ [المائدة:٤٨].

وقال: ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين * وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون * ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ [الجاثية:١٦ - ١٩].

وقال عز وجل فيما ذم به المخالفين: ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون﴾ [المؤمنون:٥٣].

وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ [الأنعام:٦٨].

وفي قوله: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه﴾ [آل عمران:٧].

وفي قوله: ﴿ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ [الأنعام:١٥٣].

وفي قوله: ﴿أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ [الشورى:١٣].

وفي قوله: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا﴾ [الأنعام:١٥٩].

وفي قوله: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا﴾ [آل عمران:١٠٥].

وفي قوله: ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم﴾ [المؤمنون:٥٣].

ونحو هذا في القرآن كثير، قال ابن عباس: أمر الله تعالى المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة،

وأخبرهم أنه أهلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله عز وجل.

وقال ابن المهاجر: سئل عيسى بن مريم عن الفرقة والاختلاف ما يوقعهما بين الناس؟ قال: البغي، والحسد، وما يلائمهما من المعصية، وما يريده الله تعالى بالعامة من النقمة].

ثلاثة أشياء: بغي، حسد، معاص يكون من نتيجتها أن تنزل اللعنة والغضب من الله عز وجل فتأخذ العامة؛ لأنهم تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو أنهم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر اليوم، ورضوا به غدا كما فعل بنو إسرائيل.

هذه بعض الآيات الواردة في الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة والاختلاف، والأمر باعتقاد الحق المبين، والبينات التي جاء بها المرسلون، خاصة نبينا عليه الصلاة والسلام، فلا يأتي من يزعم أنه على حق وأنه متمسك بالإنجيل مثلا، فكل الكتب السماوية السابقة محرفة ومبدلة ومغيرة إن وجدت، وهذا ما تم إلا بفضل الله عز وجل، حتى لا يبقى كتاب صحيح ولا شرع ولا وحي نزل من السماء محفوظ بحفظ الله إلا القرآن الذي أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام، وهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو السراج الذي يضيء للناس حياتهم الشرعية والدنيوية، فبه إنارة الكون، وبه إنارة القلوب بنور الوحي ونور الإيمان المؤدي إلى جنة الله عز وجل.." (١)

"حديث: (إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين)

قال الشارح: [وقوله صلى الله عليه وسلم: (وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) أتى بإنما التي قد تأتي للحصر بيانا لشدة خوفه على أمته من أئمة الضلال، وما وقع في خلد النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك إلا لما أطلعه الله عليه من غيبه أنه سيقع نظير ما في الحديث قبله من قوله: (لتتبعن سنن من كان قبلكم) الحديث وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون) رواه أبو داود الطيالسي، وعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) رواه الدارمي.

وقد بين الله تعالى في كتابه صراطه المستقيم الذي هو سبيل المؤمنين، فكل من أحدث حدثا ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو ملعون، وحدثه مردود كما قال صلى الله عليه وسلم: (من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا) وقال: (من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد)، وقال: (كل محدثة بدعة، وكل بدعة

(١)<شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري ٦/١٤

ضلالة) وهذه أحاديث صحيحة، ومدار أصول الدين وأحكامه على هذه الأحاديث ونحوها].

مدار أصول الدين وأحكامه على هذه الأحاديث؛ لأن الدين مداره على أن يكون الدين كله لله وحده، وأن يكون الدين بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فالدين كله ينحصر في هذا، أن يكون خالصا لله، وأن يكون الدين بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فالبدعة والمحدثات ليست من الدين، وإنما فيها تغيير الدين وتبديله؛ ولهذا لعن من فعل ذلك ومن وقع منه ذلك.

قال الشارح: [وقد بين الله تعالى هذا الأصل في مواضع من كتابه العزيز كما قال تعالى: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾ [الأعراف:٣]، وقال تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ [الجاثية:١٨] ونظائرها في القرآن كثير.

وعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر رضي الله عنه: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا، قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين.

رواه الدارمي.

وقال يزيد بن عمير: كان معاذ بن جبل رضي الله عنه لا يجلس مجلسا للذكر إلا ويقول: الله حكم قسط: هلك المرتابون، وفيه: فاحذروا زيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق، قلت لـ معاذ: وما يدريني -رحمك الله- أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة والمنافق قد يقول كلمة الحق؟ فقال: اجتنب من كلام الحكيم المشتبهات التي تقول: ما هذه؟ ولا يثنيك ذلك عنه].

التي تقال: ما هذه؟ أو تقول: ما هذه؟ يعني: أنك تستنكرها.

[التي تقول: ما هذه؟ ولا يثنيك ذلك عنه فإنه لعله أن يراجع الحق، وتلق الحق إذا سمعته فإن على الحق نورا.

رواه أبو داود وغيره.

قوله: (وإذا وقع السيف لم يرفع إلى يوم القيامة) وكذلك وقع فإن السيف لما وقع بقتل عثمان رضي الله عنه لم يرفع، وكذلك يكون إلى يوم القيامة، ولكن قد يكثر تارة ويقل أخرى، ويكون في جهة ويرتفع عن أخرى.

قوله: (ولا تقوم بالساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين) الحي واحد الأحياء وهي القبائل، وفي رواية أبي داود: (حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين) والمعنى: أنهم يكونون معهم ويرتدون برغبتهم عن أهل الإسلام، ويلحقون بأهل الشرك].

هذا هو الشاهد من الحديث؛ لأن المقصود الرد على الذين يقولون: إن الشرك لا يقع في هذه الأمة، ومن قال: لا إله إلا الله فهو مسلم داخل في شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وناج من النار، وإن وقع منه ما وقع، فأراد أن يبين أن هذا ضلال، وأنه ليس المقصود من قول (لا إله إلا الله) ،التلفظ بها، وإنما المقصود اعتقاد معناها والعمل بها، وإلا إذا كان الإنسان يتلفظ بها وهو لا يعرف معناها، بل ويأتي بما يخالف ما دلت عليه، فيكون قوله لها مثل الذي يقولها وهو سكران، أو وهو نائم يهذي، والهذيان لا فائدة فيه.

[وقوله: (حتى تعبد فئام من أمتى الأوثان) الفئام بكسر الفاء مهموز: الجماعات الكبيرة قاله أبو السعادات].

وهذا إخبار بأن جماعة من قبائل الأمة ترتد عن الإسلام، وترغب في دين الكفار، وجماعة أخرى تعبد الأوثان، فكله خلاف ما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أخبر به خلافا لما يدعيه هؤلاء الضلال.

[وفي رواية أبي داود: (حتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان)، وهذا هو شاهد الترجمة، ففيه الرد على من قال بخلافه من عباد القبور الجاحدين لما يقع منهم من الشرك بالله بعبادتهم الأوثان؛ وذلك لجهلهم بحقيقة التوحيد وما يناقضه من الشرك والتنديد، فالتوحيد هو أعظم مطلوب، و ،الشرك هو أعظم الذنوب.

وفي معنى هذا الحديث، ما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: (لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة) قال: وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية، وروى ابن حبان عن معمر قال: إن عليه الآن بيتا مبنيا مغلقا].

ذو الخلصة عبارة عن صخرات كانت في جبل يأتون إليه، ويتعبدون عنده مثل اللات تماما، فهدم زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأزيل، وأخبر أنه سوف يبعث من جديد، وتطوف عليه النساء وقد وقع ذلك من أزمنة قريبة، ثم أزيل، ويجوز أن يعود مرة أخرى، وكل هذا خلاف ما يقوله هؤلاء.." (١)

"درر

من كلام

شيخ الإسلام ابن تيمية

عن تحريم مشابهة أهل الكتاب

في الأعياد وغيرها (١)

بعض الأدلة من القرآن والسنة على النهي عن التشبه بالكافرين:

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ١٧/٧١

١ – قال تعالى: ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين (١٦) وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (١٧) ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩)﴾ (الجاثية: ١٦ – ١٩).

(١) باختصار وتصرف من (تهذيب كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم) لشيخ الإسلام ابن تيمية، هذبه وخرج أحاديثه شحاتة صقر (ص ١٦ – ١١٢).." [١]

"أخبر سبحانه، أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغيا من بعضهم على بعض، ثم جعل محمدا – صلى الله عليه وآله وسلم – على شريعة شرعها له، وأمره باتباعها، ونهاه عن إتباع **أهواء الذين لا يعلمون**، وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته.

وأهواؤهم: هو ما يهوونه، وما عليه المشركون من هديهم الظاهر، الذي هو من موجبات دينهم الباطل، وتوابع ذلك فهم يهوونه، وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه، ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم، ويسرون به، ويودون أن لو بذلوا مالا عظيما ليحصل ذلك.

٢ – قال سبحانه لموسى وهارون: ﴿فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون (٨٩)﴾ (يونس:٨٩)، وقال سبحانه: ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين (١٤٢)﴾ (الأعراف:١٤٢)، وقال تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا (١١٥)﴾ (النساء:١١٥)، إلى غير ذلك من الآيات.." [٢]

"لا يعلمون (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩)﴾ (الجاثية: ١٦ – ١٩).

أخبر سبحانه، أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغيا من بعضهم على بعض، ثم جعل محمدا – صلى الله عليه وآله وسلم – على شريعة شرعها له، وأمره باتباعها، ونهاه عن إتباع **أهواء الذين لا يعلمون**، وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته.

---

(١) عيد الأم هل نحتفل، شحاتة صقر ص/٩

(٢) عيد الأم هل نحتفل، شحاتة صقر ص/١٠

وأهواؤهم: هو ما يهوونه، وما عليه المشركون من هديهم الظاهر، الذي هو من موجبات دينهم الباطل، وتوابع ذلك فهم يهوونه، وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه، ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم، ويسرون به، ويودون أن لو بذلوا مالا عظيما ليحصل ذلك.

٢ - قال سبحانه لموسى وهارون: ﴿فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون (٨٩)﴾ (يونس:٨٩)، وقال سبحانه: ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين (١٤٢)﴾ (الأعراف:١٤٢)، وقال تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل." [١]

"واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون (٤٩) أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون (٥٠)﴾ (١)، والقائل: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨)﴾ (٢)، والقائل: ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم﴾ (٣) الآية، كما أن حديث رسولهم - صلى الله عليه وسلم - واحد، وهو المبين لكتاب الله كما قال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ (٤).

إلى أن قال: ولذلك فإننا ندعو على سبيل الذكرى التي تنفع المؤمنين جميع إخواننا المسلمين إلى مراجعة ما هم عليه من هذا التقليد بحيث يعرضون أعمالهم وسلوكهم على كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وعلى حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وعلى ما استخرجه السادات العلماء رحمهم الله من ذلك.

---

(١) المائدة الآيتان (٤٩و٥٠).

(٢) الجاثية الآية (١٨).

(٣) القصص الآية (٥٠).

(٤) النحل الآية (٤٤).." [٢]

"﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين (١٦) وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة

---

(١) شم النسيم هل نحتفل، شحاتة صقر ص/١٠

(٢) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٧٠/١٠

فيما كانوا فيه يختلفون (١٧) ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩) هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾ (١).اهـ (٢)

- وقال محمد بن الحسين: علامة من أراد الله به خيرا: سلوك هذا الطريق: كتاب الله، وسنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وسنن أصحابه رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء، مثل الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على مثل طريقتهم، ومجانبة كل مذهب يذمه هؤلاء العلماء. (٣)

---

(١) الجاثية الآيات (١٦ - ٢٠).

(٢) الشريعة (١/ ١١٣ - ١١٦).

(٣) الشريعة (١/ ١٢٤).." (١)

"الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين (١٦) وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (١٧) ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩)﴾ (١). وقال عز وجل فيما ذم به المخالفين: ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون (٥٣)﴾ (٢).اهـ (٣)

- وقال: فإن قال قائل: قد ذكرت نهي النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الفرقة وتحذيره أمته ذلك وحضه إياهم على الجماعة والتمسك بالسنة، وقلت إن ذلك هو أصل المسلمين ودعامة الدين، وأن الفرقة الناجية هي واحدة، والفرق المذمومة نيف وسبعون فرقة، ونحن نرى أن هذه الفرقة الناجية أيضا فيها اختلاف كثير وتباين في المذاهب، ونرى فقهاء المسلمين مختلفين، فلكل واحد منهم قول يقوله ومذهب يذهب إليه وينصره ويعيب من خالفه عليه. فمالك ابن أنس رحمه الله إمام وله أصحاب يقولون بقوله ويعيبون من خالفهم،

---

(١) الجاثية الآيات (١٦ - ١٩).

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٢١٤/٥

(٢) المؤمنون الآية (٥٣).

(٣) الإبانة (١/ ١/٢٧٠ – ٢٧٥).." [1]

"في هذا المعنى متواترة كثيرة: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ .. [المائدة:٤٩]

﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم﴾ .. [الشورى:١٥]

﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ .. [القصص:٥٠]

﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ .. [الجاثية:١٨ – ١٩] ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾ .. [المائدة:٥٠]

فهما أمران لا ثالث لهما. إما الاستجابة لله والرسول، وإما اتباع الهوى. إما حكم الجاهلية. إما الحكم بما أنزل الله كله وإما الفتنة عما أنزل الله .. وليس بعد هذا التوكيد الصريح الجازم من الله سبحانه مجال للجدال أو للمحال ..

وظيفة الإسلام إذن هي إقصاء الجاهلية من قيادة البشرية، وتولي هذه القيادة على منهجه الخاص، المستقل الملامح، الأصيل الخصائص .. يريد بهذه القيادة الرشيدة الخير للبشرية واليسر. الخير الذي ينشأ من رد البشرية إلى خالقها، واليسر الذي ينشأ من التنسيق بين حركة البشرية، وتولي هذه القيادة منهجه الخاص، المستقل، ترتفع إلى المستوى الكريم الذي أراده الله لها، وتخلص من حكم الهوى.

فلننظر ماذا فعل ربعي بن عامر رضي الله عنه مع رستم، قال ابن كثير:" قالوا: ثم بعث إليه سعد رسولا آخر بطلبه، وهو ربعي بن عامر، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير، وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضة على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن." [2]

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٣٨٢/٥

(٢) مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود ص/١٠٨

"المبحث الثامن عشر

الظالمون بعضهم أولياء بعض

قال تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩)﴾ [الجاثية:١٩،١٨]

لقد بعثك الله يا محمد، بعد اختلاف أهل الكتاب، على منهاج واضح من أمر الدين شرعه لك، ولمن قبلك من الرسل، فاتبع ما أوحى إليك ربك، ولا تتبع ما دعاك المشركون الجاهلون إليه من عبادة آلهتهم، فهؤلاء لا يعلمون طريق الحق.

وهؤلاء الجاهلون لا يدفعون عنك شيئا مما أراده الله بك إن اتبعت أهواءهم، وتركت شرع ربك. والكافرون يتولى بعضهم بعضا في الدنيا، ويظاهر بعضهم بعضا، أما في الآخرة فلا يغني أحد عن أحد شيئا. أما المتقون المهتدون فإن الله وليهم ينصرهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور. (١)

قال الطبري:" ثم جعلناك يا محمد من بعد الذي آتينا بني إسرائيل، الذين وصفت لك صفتهم ﴿على شريعة من الأمر﴾ [الجاثية:١٨] يقول: على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا ﴿فاتبعها﴾ [الجاثية:١٨] يقول: فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك ﴿ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ [الجاثية:١٨] يقول: ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون بالله، الذين لا يعرفون الحق من الباطل، فتعمل به، فتهلك إن عملت به، إن هؤلاء الجاهلين بربهم، الذين يدعونك يا محمد إلى اتباع أهوائهم، لن يغنوا عنك إن أنت اتبعت أهواءهم، وخالفت شريعة ربك التي شرعها لك من عقاب الله شيئا، فيدفعوه عنك إن هو عاقبك، وينقذوك منه، وإن الظالمين بعضهم أنصار بعض، وأعوانهم على الإيمان بالله وأهل طاعته ﴿والله ولي المتقين﴾ [الجاثية:١٩] يقول تعالى ذكره: والله يلي من اتقاه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه بكفايته، ودفاع من أراده بسوء، يقول جل ثناؤه لنبيه

(١) - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٣٧٠، بترقيم الشاملة آليا)." (١)

"عليه الصلاة والسلام فكن من المتقين، يكفك الله ما بغاك وكادك به هؤلاء المشركون، فإنه ولي من اتقاه، ولا يعظم عليك خلاف من خالف أمره وإن كثر عددهم، لأنهم لن يضروك ما كان الله وليك وناصرك"" (١)

(١) مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود ص/٣٤٢

أي: ثم شرعنا لك شريعة كاملة تدعو إلى كل خير وتنهى عن كل شر من أمرنا الشرعي ﴿فاتبعها﴾ فإن في اتباعها السعادة الأبدية والصلاح والفلاح، ﴿ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ أي: الذين تكون أهويتهم غير تابعة للعلم ولا ماشية خلفه، وهم كل من خالف شريعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – هواه وإرادته فإنه من **أهواء الذين لا يعلمون**. ﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا﴾ أي: لا ينفعونك عند الله فيحصلوا لك الخير ويدفعوا عنك الشر إن اتبعتهم على أهوائهم، ولا تصلح أن توافقهم وتواليهم فإنك وإياهم متباينون، وبعضهم ولي لبعض ﴿والله ولي المتقين﴾ يخرجهم من الظلمات إلى النور بسبب تقواهم وعملهم بطاعته. (٢)

إنها شريعة واحدة هي التي تستحق هذا الوصف، وما عداها أهواء منبعها الجهل. وعلى صاحب الدعوة أن يتبع الشريعة وحدها، ويدع الأهواء كلها. وعليه ألا ينحرف عن شيء من الشريعة إلى شيء من الأهواء. فأصحاب هذه الأهواء أعجز من أن يغنوا عنه من الله صاحب الشريعة. وهم إلب عليه فبعضهم ولي لبعض. وهم يتساندون فيما بينهم ضد صاحب الشريعة فلا يجوز أن يأمل في بعضهم نصرة له أو جنوحا عن الهوى الذي يربط بينهم برباطه. ولكنهم أضعف من أن يؤذوه. والله ولي المتقين. وأين ولاية من ولاية؟ وأين ضعاف جهال مهازيل يتولى بعضهم بعضا من صاحب شريعة يتولاه الله. ولي المتقين؟

وتعقيبا على هذا البيان الحاسم الجازم، يتحدث عن اليقين، وعما في هذا القول وأمثاله في القرآن من تبصرة وهدى ورحمة لأهل اليقين: «هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون» ..

ووصف القرآن بأنه بصائر للناس يعمق معنى الهداية فيه والإنارة. فهو بذاته بصائر كاشفة كما أن البصائر تكشف لأصحابها عن الأمور. وهو بذاته هدى. وهو بذاته رحمة .. ولكن

---

(١) – تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢١/ ٨٥)

(٢) – تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٧٧)." (١)

"س: ما معنى مخالفة الكفار؟

ج: أوجب الشرع الحنيف وجوب مخالفة الكافرين؛ وترك التشبه بهم فيما هو من خصائصهم؛ والتشبه يكون فيما يظهر ومن ذلك لبس الثياب التي هي علامة عليهم، وكطريقة كلامهم والتحدث بلغتهم بغير حاجة ونحو ذلك؛ أما المخالفة فتكون في الأفعال والأقوال وفي كل الأمور؛ ما لم يكن أمرا أقره شرعنا الحنيف؛

---

(١) مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود ص/٣٤٣

فالمخالفة أعم وأوسع من ترك التشبه؛ قال تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ (الجاثية: ١٨). وقال تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق﴾ (الرعد: ٣٧).

وقول الله تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾ (الحديد:١٦).

وروى أبو داود (٦٥٢) عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خالفوا اليهود، فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم " وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم " رواه البخاري (٣٤٦٢) ومسلم (٢١٠٣).

والأدلة في هذا الباب كثيرة.

*****. " (١)

"شعبة من شعب الكفر، فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع معاصيهم؛ فهذا أصل ينبغي أن يتفطن له.

بعض الأدلة من القرآن والسنة على النهي عن التشبه بالكافرين:

١ - قال تعالى: ﴿آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين (١٦) وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (١٧) ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩)﴾ (الجاثية: ١٦ - ١٩).

أخبر سبحانه، أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغيا من بعضهم." (٢)

---

(١) الولاء والبراء في الإسلام - البركاتي، أبو عاصم البركاتي ص/٣٧

(٢) رأس السنة هل نحتفل، شحاتة صقر ص/١٦

"على بعض، ثم جعل محمدا – صلى الله عليه وآله وسلم – على شريعة شرعها له، وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع **أهواء الذين لا يعلمون**، وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته.

وأهواؤهم: هو ما يهوونه، وما عليه المشركون من هديهم الظاهر، الذي هو من موجبات دينهم الباطل، وتوابع ذلك فهم يهوونه، وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه؛ ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم، ويسرون به، ويودون أن لو بذلوا مالا عظيما ليحصل ذلك.

٢ – قال سبحانه لموسى وهارون:: ﴿فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون (٨٩)﴾ (يونس:٨٩)، وقال سبحانه: ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ (الأعراف:١٤٢)، وقال تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم." (١)

"الإسلام دين جميع الرسل

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال المؤلف رحمه الله: [فصل: والحقيقة: حقيقة الدين دين رب العالمين هي ما اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وإن كان لكل منهم شرعة ومنهاج.

فالشرعة: هي الشريعة، قال الله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ [المائدة:٤٨]، وقال تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ [الجاثية:١٨ – ١٩].

والمنهاج: هو الطريق، قال تعالى: ﴿وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا * لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا﴾ [الجن:١٦ – ١٧].

فالشرعة: بمنزلة الشريعة للنهر، والمنهاج: هو الطريق الذي سلك فيه، والغاية المقصودة: هي حقيقة الدين، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وهي حقيقة دين الإسلام، وهو: أن يستسلم العبد لله رب العالمين، لا يستسلم لغيره، فمن استسلم لله ولغيره كان مشركا، والله لا يغفر أن يشرك به، ومن لم يستسلم لله بل استكبر عن عبادته كان ممن قال الله فيه: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [غافر:٦٠]].

---

(١) رأس السنة هل نحتفل، شحاتة صقر ص/١٧

وهذان النوعان هما أساس كل كفر والعياذ بالله، الأول شرك قوم نوح ومشركي العرب، ومعظم الأمم التي تعبد الله، ولكن في نفس الوقت تشرك به وخصوصا في الدعاء وصرف العبادات لغيره.

النوع الثاني: شرك إبليس، وهو شرك فرعون وأمثاله ممن جحد دين الله عز وجل ورده ولا يقبل بالخضوع والانقياد له، كالشرك المنتشر في زماننا من فصل الدين عن الحياة، والإباء والرد لدين الله سبحانه وتعالى، وكلا النوعين مازال منتشرا يقع فيه كثير من الناس.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [ودين الإسلام: هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، وقوله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾ [آل عمران:٨٥] عام في كل زمان ومكان، فنوح وإبراهيم، ويعقوب، والأسباط، وموسى، وعيسى والحواريون كلهم دينهم الإسلام].

الحواريون ليسوا من الأنبياء ولا من المرسلين، ولكنهم أتباع المسيح صلى الله عليه وسلم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [كلهم دينهم الإسلام الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى عن نوح: ﴿يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون﴾ [يونس:٧١] إلى قوله: ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ [يونس:٧٢]، وقال تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [البقرة:١٣٠ - ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ [يونس:٨٤]، وقال السحرة: ﴿ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين﴾ [الأعراف:١٢٦]، وقال يوسف عليه السلام: ﴿توفني مسلما وألحقني بالصالحين﴾ [يوسف:١٠١]، وقالت بلقيس: ﴿أسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ [النمل:٤٤]، وقال تعالى: ﴿يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار﴾ [المائدة:٤٤]، وقال الحواريون: ﴿آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾ [آل عمران:٥٢].

فدين الأنبياء واحد وإن تنوعت شرائعهم].

دينهم الذي هو عبادة الله، والخضوع لله عز وجل والاستذلال له.." (١)

"ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون * ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ياسر برهامي ٢/٥

ولي المتقين﴾ [الجاثية:١٦ – ١٩]

* أخبر سبحانه، أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغيا من بعضهم على بعض. ثم جعل محمدا – صلى الله عليه وسلم – على شريعة شرعها له، وأمره بإتباعها، ونهاه عن إتباع **أهواء الذين لا يعلمون**، وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته.

* وأهواؤهم: هو ما يهوونه، وما عليه المشركون من هديهم الظاهر، الذي هو من موجبات دينهم الباطل، وتوابع ذلك فهم يهوونه، وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه؛ ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم، ويسرون به، ويودون أن لو بذلوا مالا عظيما ليحصل ذلك.

٢ – قوله سبحانه: ﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا." (١)

"" إذا حاكى المسلم أوروبة في لباسها، وعاداتها وأسلوب حياتها فإنه يتكشف عن أنه يؤثر المدنية الأوربية، مهما كانت دعواه التي يعلنها، وإنه لمن المستحيل عمليا أن تقلد مدنية أجنبية في مقاصدها العقلية والبديعية من غير إعجاب بروحها، وإنه لمن المستحيل أن تعجب بروح مدنية مناهضة للتوجيه الديني، وتبقى مع ذلك مسلما صحيحا.

(إن الميل إلى تقليد التمدن الأجنبي نتيجة الشعور بالنقص هذا ولا شيء سواه، ما يصاب به المسلمون الذين يقلدون المدنية الغربية) (١)

وأصل المشابهة: أن الله جبل بني آدم – بل سائر المخلوقات – على التفاعل بين الشيئين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر: كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم. والمشاركة بين بني الإنسان أشد تفاعلا فلأجل هذا الأصل وقع التأثر والتأثير في بني آدم فاكتسب بعضهم، أخلاق بعض بالمشاركة والمعاشرة.

والمشابهة في الأمور الظاهرة: توجب مشابهة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفي، وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين أقل كفرا من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى هم أقل إيمانا من غيرهم ممن جرد الإسلام (٢)

ثم إن المشاركة في الهدي الظاهر: توجب مناسبة وائتلافا وإن بعد المكان والزمان وهذا أمر محسوس، بل إنها تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر.

---

(١) تهذيب اقتضاء الصراط المستقيم، شحاتة صقر ص/١٩

وإذا كانت المشابهة في الأمور الدنيوية تورث المحبة والموالاة فكيف بالمشابهة في أمور دينية؟ نعم. إنها تقتضي إلى نوع من الموالاة أكثر وأشد. والمحبة لهم تنافي الإيمان كما قال تعالى:

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين [المائدة: ٥١].

وثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان، لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم (٣)

وهنا لابد أن نورد بعض النصوص الكثيرة والمستفيضة من الكتاب والسنة التي نهت عن مشابهة الكفار واتباع أهوائهم.

منها قوله تعالى: ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين [الجاثية: ١٨ - ١٩]. الولاء والبراء في الإسلام لمحمد بن سعيد القحطاني – ص ٢٧٣

قال الله سبحانه: ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين [الجاثية: ١٦ - ١٩]

---

(١) [١٠٤٠])) ((الإسلام على مفترق الطرق)). ترجمة د. عمر فروخ (ص ٨١ – ٨٣) الطبعة الثامنة سنة ١٩٧٤م دار العلم للملايين.

(٢) [١٠٤١])) ((اقتضاء الصراط المستقيم)) بتصرف (٢٢)

(٣) [١٠٤٢])) ((اقتضاء الصراط المستقيم)) بتصرف (ص ٢١٩ - ٢٢٢)." (١)

"أخبر سبحانه، أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغيا من بعضهم على بعض.

ثم جعل محمدا صلى الله عليه وسلم على شريعة شرعها له، وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع **أهواء الذين لا يعلمون**، وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته.

وأهواؤهم: هو ما يهوونه، وما عليه المشركون من هديهم الظاهر، الذي هو من موجبات دينهم الباطل، وتوابع

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٢٣/١

ذلك فهم يهوونه، وموافقتهم فيه، اتباع لما يهوونه، ولهذا: يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم، ويسرون به، ويودون أن لو بذلوا عظيما ليحصل ذلك، ولو فرض أن ليس الفعل من اتباع أهوائهم فلا ريب أن مخالفتهم في ذلك أحسم لمادة متابعتهم وأعون على حصول مرضاة الله في تركها، وأن موافقتهم في ذلك قد تكون ذريعة إلى موافقتهم في غيره، فإن " من حام حول الحمى أوشك أن يواقعه " وأي الأمرين كان، حصل المقصود في الجملة، وإن كان الأول أظهر.

وفي هذا الباب قوله سبحانه: والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق [الرعد: ٣٦ - ٣٧]. فالضمير في أهوائهم، يعود - والله أعلم - إلى ما تقدم ذكره، وهم الأحزاب الذين ينكرون بعضه، فدخل في ذلك كل من أنكر شيئا من القرآن: من يهودي، ونصراني، وغيرهما. وقد قال: ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير [البقرة: ١٢٠] ومتابعتهم فيما يختصون به من دينهم وتوابع دينهم، إتباع لأهوائهم، بل يحصل إتباع أهوائهم بما هو دون ذلك.

ومن هذا - أيضا - قوله تعالى: ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير [البقرة: ١٢٠].

فانظر كيف قال في الخبر: ملتهم وقال في النهي: أهواءهم، لأن القوم لا يرضون إلا بإتباع الملة مطلقا، والزجر وقع عن إتباع أهوائهم في قليل أو كثير، ومن المعلوم أن متابعتهم في بعض ما هم عليه من الدين، نوع متابعة لهم في بعض ما يهوونه، أو مظنة لمتابعتهم فيما يهوونه، كما تقدم.." (١)

"قال - تعالى -: ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير.

وقال - تعالى -: ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين.

وقال - تعالى -: ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق.

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٢٤/١

وقال – تعالى –: لهم مغفرة وأجر عظيم.

وقال – تعالى –: فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم.

وقال – تعالى –: ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون.**

فهذه الآيات – وغيرها كثير – فيها نهي صريح عن متابعة أهواء المشركين، وأهواؤهم هو ما يهوونه، وما عليه المشركون من الهدي.

وذم –جلا وعلا – المتشبهين بالكفار، فقال: كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون.

والنبي –صلى الله عليه وسلم– جاءت سنته صريحة في النهي عن التشبه بالكفار، وتنوعت دلالاتها، كقوله –صلى الله عليه وسلم–: من تشبه بقوم فهو منهم وقوله: خالفوا المشركين وقوله: خالفوا اليهود وغير ذلك.." (١)

"فصل إيراد النصوص الدالة على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن مشابهتهم بشيء من البيان

إذا تقرر ذلك، فقد دل الكتاب والسنة والإجماع على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن مشابهتهم في الجملة، سواء كان عاما في جميع أنواع المخالفات أو خاصا ببعضها، وسواء كان أمر إيجاب أو أمر استحباب.

أما الكتاب فقوله تعالى: ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم.

وقال: ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة إلى أن قال: ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون.**

فأخبر أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغيا من بعضهم على بعض، ثم جعل محمدا صلى الله عليه وسلم على شريعة، وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع **أهواء الذين لا**

---

(١) المنهج القويم في اختصار اقتضاء الصراط المستقيم البعلي، بدر الدين ص/

يعلمون، فدخل فيهم كل من خالف شريعته.

وأهواؤهم: هو ما يهوونه، وما عليه المشركون من هديهم الظاهر الذي هو من موجبات دينهم الباطل.

ومن هذا قوله: والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إلى أن قال:." (١)

"النهي عن التشبه بالكافرين

ومن ذلك أعياد اليهود أو غيرهم من الكافرين أو الأعاجم والأعراب الضالين، لا ينبغي للمسلم أن يتشبه بهم في شيء من ذلك، ولا يوافقهم عليه، قال الله تعالى لنبيه محمد) : " ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين) . **وأهواء الذين لا يعلمون** هو ما يهوونه من الباطل، فإنه لا ينبغي للعالم أن يتبع الجاهل فيما يفعله من أهواء نفسه، قال تعالى لنبيه) : (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين) . فإذا كان هذا خطابه لنبيه (، فكيف حال غيره إذا وافق الجاهلين أو الكافرين وفعل كما يفعلون مما لم يأذن به الله ورسوله ويتابعهم فيما يختصون به من دينهم وتوابع دينهم؟ وترى كثيرا من علماء المسلمين الذين يعلمون العلم الظاهر، وهم منسلخون م نه بالباطن، يصنعون ذلك مع الجاهلين في مواسم الكافرين بالتشبه بالكافرين، وقد جاء عن النبي (أنه قال: " من أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه ". والتشبه بالكافرين حرام وإن لم يقصد ما قصده، بدليل ما روي عن ابن عمر عن رسول الله) : " من تشبه بقوم فهو منهم ". رواه أبو داود وغيره في السنن.." (٢)

"صعب، مكيدة من الشيطان كاد بها الناس عن سلوك الصراط المستقيم الحنيفية ملة إبراهيم. وإن بان لكم أنهم مخطئون، فبينوا لي الحق حتى أرجع إليه؛ وإنما كتبت لكم هذا، معذرة من الله، ودعوة إلى الله، لأحصل ثواب الداعين إلى الله، وإلا أنا أظن أنكم لا تقبلونه وأنه عندكم من أنكر المنكرات، من أن الذي ١ يعيب هذا عندكم مثل من يعيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

لكن أنت من سبب ما أظن فيك من طاعة الله، لا أبعد أن يهديك الله إلى الصراط المستقيم، ويشرح قلبك للإسلام. فإذا قرأته، فإن أنكره قلبك فلا عجب؛ فإن العجب ممن نجا كيف نجا؟ فإن ٢ أصغى إليه قلبك بعض الشيء، فعليك بكثرة التضرع إلى الله والانطراح بين يديه، خصوصا أوقات الإجابة كآخر الليل، وأدبار

---

(١) المنهج القويم في اختصار اقتضاء الصراط المستقيم البعلي، بدر الدين ص/٢٩

(٢) حقيقه السنة والبدعة = الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع السيوطي ص/١٢٣

الصلوات، وبعد الأذان، وكذلك بالأدعية المأثورة خصوصا الذي ورد في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول: " اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم " ٣.

فعليك بالإلحاح بهذا الدعاء بين يدي من يجيب المضطر إذا دعاه، وبالذي هدى إبراهيم لمخالفة الناس كلهم، وقل: يا معلم إبراهيم علمني. وإن صعب عليك مخالفة الناس، ففكر في قول الله تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا﴾ ٤ ٥، ٦ ﴿وإن

---

١ في المخطوطة: (وأن الذي) ، وهو الصواب.

٢ في المخطوطة: (وإن) .

٣ مسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧٧٠) ، والترمذي: الدعوات (٣٤٢٠) ، والنسائي: قيام الليل وتطوع النهار (١٦٢٥) ، وأبو داود: الصلاة (٧٦٦، ٧٦٧) والأدب (٥٠٨٥) ، وابن ماجة: إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٥٦، ١٣٥٧) ، وأحمد (١٥٦/٦) .

٤ سورة الجاثية آية: ١٨-١٩.

٥ في المخطوطة تكملة الآية: ﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ الجاثية آية: ١٨-١٩.

٦ في المخطوطة زيادة (وقوله) .." (١)

"به وحاربوه، ويدعي أن ذلك من كراماته.

وكالذي يمشي في الأسواق عريانا، ولا يشهد بصلاة ولا ذكر الله ولا علما، بل يعيب علماء الشرع، ويغمزهم ويسميهم أهل علم الظاهر، ويدعي أنه صاحب علم الباطن، وربما يدعي أنه يسعه الخروج من شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام، ونحو ذلك من الكفر والهذيان. وكالذي يدعي أن العبد يصل مع الله إلى حال تسقط عنه التكاليف، أو يدعي أن الأولياء يدعون، ويستغاث بهم في حياتهم ومماتهم، وأنهم ينفعون ويضرون ويدبرون الأمور على سبيل الكرامة، أو أنه يطلع

---

(١) الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الجزء السادس) محمد بن عبد الوهاب ص/٢٥٦

على اللوح المحفوظ، ويعلم أسرار الناس وما في ضمائرهم، أو يجوز بناء المساجد على قبور الأنبياء والصالحين، وإيقادها بالسرج والشموع، وكسوتها بالحرير والديباج، والفرش النفيسة، أو يدعي أن من عمل بالقرآن والسنة في أصول الدين وفروعه، فقد ضل وأضل وابتدع، أو أن ظواهر القرآن في آيات الصفات تشبيه وتمثيل، وأن الهدى لا يؤخذ منه في هذا الباب ولا في غيره، وإنما يؤخذ من الشبهات الوهمية التي يسميها بزعمه براهين عقلية. فكل هؤلاء وأشباههم من أئمة الضلال الذين خاف النبي صلى الله عليه وسلم على أمته وحذر منهم.

والضابط في الفرق بين أئمة المتقين وبين الأئمة المضلين قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾ ١ فافهم عن ربك وكن على بصيرة، ولا يغرك جلالة شخص أو عظمته في النفوس، فربك أعظم واتباعك لكلامه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم هو الفرض، والعصمة منتفية عن غير الرسول، وربك أدرى بما في الضمائر، فرب من تعتقده إمام هدى ليس كذلك، وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ ٢.

١ سورة آل آية: ٣١-٣٢.

٢ سورة الجاثية آية: ١٨.." (١)

"فكل من أتى بشيء يخالف ما جاء عن الله وعن رسوله، فهو من **أهواء الذين لا يعلمون**، ومن لم يستجب للرسول صلى الله عليه وسلم فإنما يتبع هواه.

قال الله تعالى: ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ ١. وقال تعالى: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾ ٢. وعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر: "هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا. قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين". رواه الدارمي.

وقال يزيد بن عميرة: "كان معاذ بن جبل لا يجلس مجلسا للذكر إلا قال حين يجلس: الله حكم قسط هلك المرتابون". الحديث. وفيه: "واحذروا زيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق. قلت لمعاذ: ما يدريني رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، وأن

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٣١٨

المنافق قد يقول كلمة الحق؟ قال لي: اجتنب من كلام الحكيم المشتبهات التي يقال: ما هذه ولا يثنيك ذلك عنه، فإنه لعله يراجع الحق، وتلق الحق إذا سمعته فإن على الحق نورا". رواه أبو داود وغيره وما أحسن ما قال ابن المبارك رضي الله عنه:

وهل أفسد الدين إلا الملو ... ك وأحبار سوء ورهبانها.

قوله: (وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة) . أي: إذا وقعت الفتنة والقتال بينهم بقي إلى يوم القيامة، وكذلك وقع، فإن السيف لما وضع فيهم بقتل عثمان رضي الله عنه لم يرتفع إلى اليوم، وكذلك يكون إلى يوم القيامة، ولكن يكثر تارة ويقل أخرى، ويكون في جهة ويرتفع عن أخرى.

قوله: (ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين) . الحي واحد الأحياء، وهي القبائل وفي رواية أبي داود:

---

١ سورة القصص آية: ٥٠.

٢ سورة الأعراف آية: ٣.." (١)

"فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ ١. وقال تعالى: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾ ٢. وعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا. قال "يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين" رواه الدارمي.

فرضي الله تعالى عن أمير المؤمنين عمر كأنه ينظر إلى ما وقع في هذه الأمة من جدال أهل الأهواء بالكتاب، وكثرة الآراء المخالفة للحق التي بها كثر أهل الضلال، وكثرت بها البدع، وتفرقت الأمة واشتدت غربة الإسلام، حتى عاد المعروف منكرا والمنكر معروفا، والسنة بدعة والبدعة سنة، نشأ على هذا الصغير، وهرم عليه الكبير.

وما أحسن ما قال بعض السلف: "لا تستوحش من الحق لقلة السالكين، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين". وقال بعضهم: "ليس العجب ممن هلك كيف هلك إنما العجب ممن نجا كيف نجا". فالناصح لنفسه يتهم رأيه وهواه، ويرجع إلى تدبر كتاب الله سبحانه لا إله غيره ولا رب سواه، وإلى ما سنه الرسول --صلى الله عليه وسلم- وما عليه سلف الأمة وأئمتها قبل حدوث الأهواء وتفرق الآراء، وليكن من الشيطان وجنده

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كت ا ب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٣١٩

على حذر.

اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين، سلما لأوليائك. حربا لأعدائك، نحب بحبك من أحبك، ونعادي بعداوتك من خالفك. اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة، اللهم هذا الجهد وعليك التكلان.

قول الورقة إن الإله مشتق من أله

وأما قول هذا في ورقته: (إذ اشتقاقه من أله بوجوب اتحاده معه في المعنى) .

(أقول) : قد عرفتم ما ذكرناه من تناقضه في هذه العبارة وما قبلها، وقد أخطأ أيضا فيما عبر به عن الاشتقاق من وجهين:

(الأول) : أنه جعل أله مشتقا منه وهو فهل يشتق ولا يشتق منه، والمصدر

---

١ سورة الجاثية آية: ١٨، ١٩.

٢ سورة الأعراف آية: ٣.." (١)

"حديث عائشة رضي الله عنهما "من التمس بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله عليه وأسخط عليه الناس" وقد قال تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون***إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ ونظائرها في المائدة والكهف وطه والنجم وغيرها من القرآن.

جدد هذا الدين الذي أخلولق لما أقدرك الله على ذلك والتمس من أهل الخير عددا يدعون إلى هذا الدين ويذكرونه الناس ويعلمونه الجاهل والغافل وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيد المرسلين وأمام المتقين محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وأنت سالم والسلام.١

---

١ الدرر السنية ١١/٣٠.." (٢)

"افترض عليه أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإنه لا صلاح لهم بدون ذلك أصلا، علما وعملا. وعليه أن يصلح نفسه بما يرضي الله من إقامة دينه وأن لا يخاف في الله لومة

---

(١) بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري عبد المحمود (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الرابع، القسم الأول) عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٣٢٨

(٢) المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٢٥٤

لائم، وأن يحب في الله ويبغض فيه ويوالي لله ويعادي فيه، وأن يميز الناس بتمييز الله، فإن الله ميز أولياءه من أعدائه.

ولا شك أن هذا من فرائض التوحيد، وليكن على حذر من الناس وأهوائهم؛ فإنهم لا يرضون إلا بمتابعة أهوائهم، وقد قال تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ ١.

واعتبر بما جرى من أكثر الناس من أنواع الشرك والظلم والفساد كما قد جرى فيما مضى، كما ذكر العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالى- حيث يقول:

إسلام شركا ظاهر التبيان ... ولقد رأينا من فريق يدعي ال

ووهم به في الحب لا السلطان ... جعلوا له شركاء والوهم وسا

زادوا لهم حبا بلا كتمان ... والله ما ساووهمو بالله بل

فشو الشرك بالدعاء والاستغاثة بغير الله

وهذا وأمثاله هو الواقع في هذه الأزمنة، يعرفه من تدبر القرآن وفهم أدلة التوحيد، فلقد كثر هذا الشرك بنوعيه من دعوة غير الله والاستغاثة به وتعظيمه والحلف به، حتى إن بعض الجهال يستنكفون من قول القائل: محمد عبد الله ورسوله فينكرون قوله: عبد الله. ولا ريب أن الله -تبارك وتعالى- شرفه بعبوديته له الخاصة والرسالة.

وأما أهل الإسلام على الحقيقة والإيمان فيخلصون إرادتهم وأعمالهم لله -تعالى- وحده دون من سواه، فلا يدعون ولا يرجون ولا يستغيثون ولا يتوكلون ولا يتقربون بنوع من أنواع العبادة إلا إلى ربهم ومليكهم وخالقهم والقائم عليهم والمتصرف فيهم بمشيئته وإرادته، ويعملون بما شرعه لهم في كتابه، وسنه لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم من شريعته، معتصمون

---

١ سورة الجاثية آية:١٨، ١٩.." (١)

"أحاديث صحيحة. ومدار أصول الدين وأحكامه على هذه الأحاديث ونحوها. وقد بين الله تعالى هذا الأصل في مواضع من كتابه العزيز، كما قال تعالى: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه

---

(١) المورد العذب الزلال في كشف شبه أهل الضلال (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الرابع، القسم الأول) عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٣٠٧

أولياء قليلا ما تذكرون﴾ ١. وقال تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ ٢. ونظائرها في القرآن كثير.

وعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر رضي الله عنه: " وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان.

" هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا، قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين "٣ رواه الدارمي.

وقال يزيد بن عمير: "كان معاذ بن جبل رضي الله عنه لا يجلس مجلسا للذكر إلا ويقول: الله حكم قسط: هلك المرتابون وفيه: فاحذروا زيغة الحكيم؛ فإن الشيطان قد يقول الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق. قلت لمعاذ: وما يدريني -رحمك الله- أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة؟ والمنافق قد يقول كلمة الحق؟ فقال: اجتنب من كلام الحكيم المشتبهات التي يقول: ما هذه؟ ولا يثنيك ذلك عنه؛ فإنه لعله أن يراجع الحق، وتلق الحق إذا سمعته؛ فإن على الحق نورا "٤. رواه أبو داود وغيره.

قوله: " وإذا وقع السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ". وكذلك وقع فإن السيف لما وقع بقتل عثمان رضي الله عنه لم يرفع؛ وكذلك يكون إلى يوم القيامة، ولكن قد يكثر تارة ويقل أخرى، ويكون في جهة ويرتفع عن أخرى٥.

قوله: " ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين " "الحي" واحد الأحياء وهي القبائل. وفي رواية أبي داود: " حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين " ٦.

والمعنى: أنهم يكونون معهم ويرتدون. برغبتهم عن أهل الإسلام ويلحقون بأهل الشرك.

وقوله: " حتى تعبد فئام من أمتي الأوثان " "الفئام" بكسر الفاء مهموز: الجماعات

---

١ سورة الأعراف آية: ٣.

٢ سورة الجاثية آية: ١٨.

٣ صحيح. الدارمي (١/٧١) في المقدمة: باب في كراهية أخذ الرأي. وقال الألباني في تخريج المشكاة (١/٨٩) : "وسنده صحيح" اهـ.

٤ صحيح. أبو داود: كتاب السنة (٤٦١١) : باب لزوم السنة. وإسناده صحيح.

٥ قال في قرة العيون: وفيه ما هو حق، كقتال أهل التوحيد لأهل الشرك بالله، وجهادهم على تركهم الشرك،

وقد من الله بذلك على من أقامهم في آخر هذا الزمان بالدعوة إلى توحيده، لكن أهل الشرك بدأوهم بالقتال، وأظهرهم الله عليهم كما لا يخفى على من تدبر آيات هذا الدين في هذه الأزمنة. اهـ.

٦ ابن ماجه: النكاح (١٩٣٦) .." (١)

"لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ ١.

وقال تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ ٢.

وفي الحديث: "إن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة" ٣.

وكل عالم يعرف أن هذا السماع الشيطاني مبتدع، لم يحدث إلا بعد القرون المفضلة، وقد أنكره عامة أئمة الإسلام، وأشدهم في ذلك أتباع الإمام مالك بن أنس، الذي ينتسب هذا الرجل إلى مذهبه، وكفى به جهلا وضلالا أن يعيب ما عليه قدماء أئمته وفضلاؤهم، ونصوصهم موجودة بأيدينا، في إنكار هذا السماع الشيطاني، تضليل فاعله وتفسيقه.

وقد صنف ابن قيم الجوزية في هذا الذكر المبتدع كتابا مستقلا٤ قرر فيه مذاهب الأئمة في حكم هذا السماع، وأنه محرم لا يجوز.

وإن كان قصد هذا المعترض: خصوص رفع الصوت بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الأذان، كما يفعله أهل الأمصار، فقد صدق في حكاية

---

(١) سورة الشورى، الآية:٢١.

(٢) سورة الجاثية، الآية:١٨.

(٣) أخرجه مسلم في الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة: (ح/٨٦٧) ، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) هو كتاب: "الكلام في مسألة السماع"، ط. دار العاصمة، وهو كتاب عظيم النفع، جليل القدر.." (٢)

"معبوده: قال الله تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾

(١) وقال تعالى: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾ (٢) وقال

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٢٧٣

(٢) الإتحاف في الرد على الصحاف عبد اللطيف آل الشيخ ص/٣٩

تعالى: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (٤) .

وقد خرج الطبراني بسنده أنه كان بالمدينة منافق يؤذي المسلمين فقالوا قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق فقال لهم صلى الله عليه وسلم: "لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله عز وجل"، فمنع من إطلاق هذا اللفظ حتى في الأسباب العادية سدا للذريعة الشركية وهو سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم ويروى عن أبي عبد الله القرشي أحد مشايخ الطريقة أنه قال: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق، وعن ذي النون استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون، ولعبد القادر في كتابه (فتوح الغيب) ما هو قريب من هذا الكلام وهذه هي حال أولياء الله وعباده الصالحين يأمرون الخلق بما يوجب صرف قلوبهم ووجوههم إلى الله وحده لا شريك له والإنابة إليه والاعتماد عليه، كما قال عن إمامهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه: ﴿أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين﴾ (٥) وقال تعالى لنبيه: ﴿قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا﴾ (٦) فكيف يقول غير الرسول صلى الله عليه وسلم استغيثوا بي ومن استغاث

---

(١) سورة الجاثية: رقم الآية ١٨.

(٢) سورة الأعراف: رقم الآية ٣.

(٣) سورة الأنعام: رقم الآية ١٥٥.

(٤) سورة طه: الآية ١٢٣-١٢٤.

(٥) سورة الشعراء: الآية ٧٥-٨١.

(٦) سورة الجن: رقم الآية ٢١.." (١)

"الأدلة على وجوب مخالفة أهل الجاهلية: الأدلة كثيرة، فمنها قوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم

---

(١) البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية عبد اللطيف آل الشيخ ص/١٢٠

فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ [المائدة: ٤٨] وقوله تعالى: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون﴾ [المائدة: ٤٩] وقوله: ﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾ [الشورى: ١٥] وقوله: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ [الجاثية: ١٨] فنهى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يتبع **أهواء الذين لا يعلمون**، ويدخل فيه (كل من خالف شريعته، وأهواؤهم هو ما يهوونه، وما عليه المشركون من هديهم الظاهر، الذي هو من موجبات دينهم الباطل وتوابع ذلك، فهم يهوونه، وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه) (١) .

وقال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم﴾ [البقرة: ١٠٤] (راعنا) : حافظنا، من راعيته إذا تأملته وتعرفت أحواله، وكانت اليهود تقوله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تشبها بالمؤمنين، وهو بلغتهم سب بالرعونة، فينوونه، فنهى الله عنه المؤمنين (٢) .

بيان سوء عاقبة من اتبع أهل الجاهلية: جاءت أدلة صريحة في بيان العاقبة الشنيعة التي أعدها الله تعالى لمن خالف أمره، وتشبه بأعدائه، مما يدل على قبح الفعل، وشناعته، ومن هذه الأدلة:

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (١ / ٨٥) .

(٢) " التفسير الوجيز على هامش الكتاب العزيز " لكاتب هذه السطور، ص (١٦) .." (١)

"ثانيا: النهي عن مشابهة أهل الجاهلية في أهوائهم بصيغته:

كما جاءت الأدلة صريحة في الأمر بمخالفة أهل الجاهلية، فقد جاءت أيضا صريحة في النهي عن مشابهتهم في أهوائهم بصيغة النهي الحقيقية "لا تفعل" ومن هذه الأدلة:

قوله تعالى: ﴿ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾ ١

وقوله تعالى: ﴿ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ ٢

وقوله تعالى: ﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم﴾ ٣

وقوله تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ ٤

(١) فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية ت علي مخلوف الألوسي، محمود شكري ص/١٢

ففي هذه الآيات نهي من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يتبع **أهواء الذين لا يعلمون،** "وقد في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته.

واهواؤهم هو ما يهوونه، وما عليه المشركون من هديهم الظاهر، الذي هو من موجبات دينهم الباطل وتوابع ذلك، فهم يهوونه، وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه"٥.

وقوله تـعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا﴾ ٦.

---

١ المائدة: ٤٨

٢ المائدة: ٤٩

٣ الشورى: ١٥

٤ الجاثية:١٨

٥ اقتضاء الصراط المستقيم (١/٨٥)

٦ البقرة: ١٠٤." (١)

""وكل ما" أي أمر كان "خالف الوحيين" نصوص الكتاب والسنة؛ لأن السنة وحي ثان أيضا كما قال تعالى: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى﴾ [النجم: ٢-٥] وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "أوتيت القرآن ومثله معه"١ الحديث.

"فإنه" أي: ذلك الأمر المخالف "رد" أي: مردود على مبتدعه من كان "بغير مين" بدون شك، قال الله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾ [آل عمران: ٨٥] ودين الإسلام هو الذي أنزل الله تعالى به كتابه على رسوله ليبينه للناس، فتلاه الرسول -صلى الله عليه وسلم- على أمته وبينه لهم بسنته من أقواله وأفعاله وتقريراته -صلى الله عليه وسلم- وتقدم في الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم: "وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة"٢.

وقال تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾ [البقرة: ١٣٠] ، وقال تعالى: ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا﴾ [النساء: ١٢٥] ، وقال تعالى: ﴿أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها﴾ [آل عمران: ٨٣] وقال تبارك وتعالى: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾ [الأعراف: ٣] ، وقال تبارك وتعالى:

---

(١) فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية ت يوسف السعيد الألوسي، محمود شكري ص/٤١

﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ [الجاثية: ١٨] الآيات. وقال تعالى: ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾ [العنكبوت: ٥١] وقال تبارك وتعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ [التوبة: ٣١] الآية، وقال تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾

---

١ أحمد "٤/ ١٣٢"، والترمذي "٥/ ٣٨/ ح٢٦٦٥" في العلم، باب ما جاء في كراهية كتابة العلم، وابن ماجه "١/ ٦/ ح١٢" في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والتغليظ على من عارضه. وقد مر.

٢ تقدم تخريجه سابقا.." (١)

"وقد شرع لهم من الأحكام ما فيه صلاحهم ورحمتهم وإقامة العدل بينهم، في المواريث وغيرها، فهو سبحانه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وهو العالم بأحوال عباده وما يصلحهم في آخر الزمان، كما أنه العالم - سبحانه - بما يصلحهم في وقت التشريع، ومن زعم خلاف ذلك فقد اتهم الله في حكمته وعلمه، ولو أراد، سبحانه، أن يقوم الحكام أو العلماء بتطوير الأحكام، في وقت من الأوقات، لبين ذلك لعباده في كتابه أو على لسان رسوله - عليه الصلاة والسلام - فلما لم يقع شيء من ذلك علم أن ما شرعه من الأحكام يجب الأخذ به والسير عليه والحكم به في وقت التشريع وفيما يأتي من الزمان إلى قيام الساعة، كيف وقد بين الله في كتابه أن الواجب اتباع ما أنزل والاستمساك به، والحكم بين الناس بذلك، والحذر من الخروج عنه، فقال تعالى: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾ وقال سبحانه: {فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم﴾ ، وقال تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ ، وقال تعالى - يخاطب نبيه عليه الصلاة والسلام-: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ١٢٢٥/٣

يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾ .

أوجب سبحانه، في هذه الآيات الكريمات الحكم بما أنزل، والحذر من مخالفته، كما حذر، سبحانه، من متابعة أهواء الناس في خلاف الحق وأخبر أن حكمه هو أحسن الأحكام، وأنه لا حكم أحسن منه، وبين أن ما خالف حكمه فهو من حكم الجاهلية، وبين في آية أخرى أن ما خالف حكمه فهو." (١)

"مختلفين..، وحينئذ تفسد الحياة البشرية ذلك الفساد الذي تشير إليه آيات القرآن في مناسبات شتى: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) [الأنبياء: ٢٢] (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن) [المؤمنون: ٧١] . (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**) [الجاثية: ١٨] .

من أجل هذا جاء كل دين من عند الله ليكون منهج حياة، وسواء جاء هذا الدين لقرية من القرى، أو لأمة من الأمم، أو للبشرية كافة في جميع أجيالها، فقد جاء ومعه شريعة معينة لحكم واقع الحياة، إلى جانب العقيدة التي تنشئ التصور الصحيح للحياة، إلى جانب الشعائر التعبدية التي تربط القلوب بالله..، وكانت هذه الجوانب الثلاثة هي قوام دين الله، حيثما جاء دين من عند الله، لأن الحياة البشرية لا تصلح ولا تستقيم إلا حين يكون دين الله هو منهج الحياة.

وفي القرآن الكريم شواهد شتى على احتواء الديانات الأولى، التي ربما جاءت لقرية من القرى، أو لقبيلة من القبائل على هذا التكامل، في الصورة المناسبة للمرحلة التي تمر بها القرية أو القبيلة..، وهنا يعرض هذا التكامل في الديانات الثلاث الكبرى.. اليهودية، والنصرانية، والإسلام..

ويبدأ بالتوراة في هذه الآيات التي نحن بصددها في هذه الفقرة:

(إنا أنزلنا التوراة فيها هدى) :

فالتوراة – كما أنزلها الله – كتاب الله الذي جاء لهداية بني إسرائيل، وإنارة طريقهم إلى الله، وطريقهم في الحياة..، وقد جاءت تحمل عقيدة التوحيد. وتحمل شعائر تعبدية شتى، وتحمل كذلك شريعة:

(يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) .

---

(١) حكم الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض ابن باز ص/٣٣

أنزل الله التوراة لا لتكون هدى ونورا للضمائر والقلوب بما فيها من عقيدة وعبادات فحسب، ولكن كذلك لتكون هدى ونورا بما فيها من شريعة تحكم." (١)

"فالحاصل: أنه لا ينبغي للعقل أن يتقدم بين يدي الشرع فإنه من التقدم بين يدي الله ورسوله (١) .

السبب الرابع: اتباع الهوى.

يطلق الهوى على هوى النفس، وهوى النفس: إراداتها، والجمع: أهواء، والهوى: محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه. قال تعالى: ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ (٢) ، أي: نهاها عن شهواتها، وما تدعو إليه من معاصي الله عز وجل، والهوى على إطلاقه لا يكون إلا مذموما (٣) .

ولذلك سمي أهل البدع، أهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم، فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورا فيها من وراء ذلك (٤) .

واتباع الهوى يتجلى في مظاهر عدة نتائجها عظيمة الخطر، من هذه المظاهر:

الانحراف عن الصراط المستقيم، يؤيد هذا قول الحق تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ (٥) ، وقول تعالى: ﴿ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾ (٦) ، وقال تعالى: ﴿ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون﴾ (٧) .

فقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتبع الشريعة ولا يتبع الهوى، ولا يركن إلى أهواء الناس، فإنه إذا مال إلى أهوائهم انحرف عن الصراط المستقيم.

اتباع المتشابه وترك المحكم؛ لأن في المتشابه طلبتهم من التأويل، وإرضاء ما

---

(١) – يراجع: الاعتصام (٢/٣١٨-٣٣٧) .

(٢) –سورة النازعات: الآية٤٠.

(٣) – يراجع: لسان العرب (١٥/٣٧٢/٣٧٣) ، مادة (هوا) .

(٤) – يراجع: الاعتصام (٢/١٧٦) .

(٥) – سورة الجاثية، الآية:١٨.

---

(١) الرسل والرسالات سليمان الأشقر، عمر ص/٢٣٧

(٦) –سورة الشورى: الآية١٥.

(٧) – سورة الأنعام: الآية١٥٠.." (١)

"[الأدلة على تحريم مشابهة أهل الكتاب]

أولا: الأدلة من الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين* وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون* ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون***إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ (١)

وجه الدلالة من الآيات:

أخبر الله –سبحانه وتعالى– في هذه الآيات أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغيا من بعضهم على بعض، ثم جعل الرسول صلى الله عليه وسلم على شريعة شرعها له وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع **أهواء الذين لا يعلمون** وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته. وأهواؤهم: ما يهوونه، وما كان عليه المشركون من هديهم الظاهر الذي هو من موجبات دينهم الباطل، وتوابع ذلك، وموافقتهم فيه، اتباع لما يهوونه، ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم وموافقتهم في ذلك قد تكون ذريعة إلى موافقتهم في غيره، فإن من حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه (٢).

قوله تعالى: ﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب*وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق﴾ (٣) .

وجه الدلالة من الآيات:

أن الضمير في أهوائهم يعود –والله أعلم– إلى ما تقدم ذكره، وهم الأحزاب الذين ينكرون بعضه، فدخل في ذلك كل من أنكر شيئا من القرآن: من يهودي ونصراني وغيرهما، وقد قال جل وعلا: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم﴾ ومتابعتهم فيما يختصون به من دينهم وتوابع دينهم، اتباع لأهوائهم، بل يحصل اتباع

---

(١) البدع الحولية عبد الله التويجري ص/٤٦

(١) – سورة الجاثية، الآيات:١٦– ١٩.

(٢) – يراجع: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٨٤، ٨٥) .

(٣) – سورة الرعد، الآيتان:٣٦، ٣٧." (١)

"فنوح وإبراهيم ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى والحواريون كلهم دينهم الإسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له والاستسلام له ظاهرا وباطنا، وعدم الاستسلام لغيره كما قد بين ذلك عنهم القرآن فدينهم كلهم واحد وان تنوعت شرائعهم كما قال الله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ .

وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾

والله تبارك وتعالى قد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بشرائع الإسلام الظاهرة وحقائق الإيمان الباطنة.

ففي مسند أحمد عن أنس عن النبي صلى اله عليه وسلم أنه قال: "الإسلام علانية والإيمان في القلب".

وفي البخاري أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الإيمان والإسلام، والإحسان، فمن لم يقم بشرائع الإسلام الظاهرة امتنع أن يحصل له حقائق الإيمان الباطنة– ومن حصلت له حقائق الإيمان الباطنة فلابد أن يحصل له حقائق شرائع الإسلام الظاهرة، فإن القلب ملك والأعضاء جنوده، فمتى استقام الملك وصلح استقامت جنوده وصلحت كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب".

فإذا كان في القلب حقائق الإيمان الباطنة فقد صلح فلابد أن." (٢)

"تطؤون الزروع بدوابكم، والفساد محرم عليكم في كتابكم. قلت: يفعل ذلك جهالنا. قال: فلم تلبسون الديباج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وهو محرم عليكم. فقلت: زال عنا الملك وقل أنصارنا فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا. فأطرق مليا، وجعل يقلب يده، وينكث في الأرض، ثم قال: ليس ذلك كما ذكرت، بل أنتم قوم استحللتم ما حرم عليكم، وركبتم ما عنه نهيتم، وظلمتم فيما ملكتم، فسلبكم الله تعالى العز وألبسكم الذل بذنوبكم، ولله تعالى فيكم نقمة لم تبلغ نهايتها، وأخاف

(١) البدع الحولية عبد الله التويجري ص/٤٠٨

(٢) تحذير أهل الأيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن الإسعردي، إسماعيل ص/١٨

أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلدي فيصيبني معكم، وإنما الضيافة ثلاث فتزودوا ما احتجتم إليه وارتحلوا عن بلدي ففعلت ذلك اهـ.

وفي هذه الحكاية مقنع وكفاية لمن رزقه الله الهداية وجنبه طريق الغواية. وفيما رأيتم وسمعتم به مما جرى بأولئك الظالمين المستبدين. الخاسرين الأبعدين أكبر عبرة لمن اعتبر. وتبصرة لمن تبصر قال الشاعر:

ما مر يوم على حي ولا ابتكرا١ ... إلا رأى عبرة فيه إن اعتبرا

ولنرجع الآن لذكر بقية الآيات التي نحن بصددها فنقول وقال تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾

---

١ في القاموس بكر عليه وإليه بكورا وبكر وابتكر وأبكر وباكرة أتاه بكرة اهـ." (١)

"فقسم سبحانه الأمر بين الشريعة التي جعله هو سبحانه عليها وأوحى إليه العمل بها وأمر الأمة بها.

وبين أتباع **أهواء الذين لا يعلمون**، فأمر بالأول ونهى عن الثاني.

وقال تعالى: ﴿المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾

فأمر بإتباع المنزل منه خاصة ونهى عن إتباع أولياء من دونه، فدل على أن من اتبع غيره فقد اتبع من دونه أولياء.

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾

فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله، وأعاد الفعل إعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير حاجة إلى عرض ما أمر به على الكتاب بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقا سواء كان ما أمر به في الكتاب. أو لم يكن فيه، فإنه أوتي الكتاب ومثله معه.

وقد قال تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾

وقال تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾

---

(١) تحذير أهل الأيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن الإسعردي، إسماعيل ص/٣٨

وصح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث أبي رافع أنه قال: " لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه".." (١)

"وبحكم الأغلبية الجاهلية، التي لا ترجو لله وقارا امتلأت مساجد المسلمين بالقبور، قبور الأنبياء والصالحين وغير الأنبياء والصالحين، بل ربما بالقبور الوهمية أحيانا!

٨- احتقار ما عند الخصم:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم﴾ (١) فاليهود اتهموا النصارى بأنهم ليسوا على شيء. . . أي شيء.

والنصارى اتهموا اليهود بأنهم ليسوا على شيء. . أي شيء!

وهذا أسلوب نعرفه في كل صاحب طريقة. . أو فرقة. . يزعم لنفسه ولأتباعه أن ما عليه هو الحق الذي لا يخالطه باطل، وأن ما عليه غيره هو الباطل الذي لا يخالطه حق. .!

٩- الاختلاف بسبب البغي:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين﴾ ﴿وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ ﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ (٢)

---

(١) سورة البقرة، آية ١١٣.

(٢) سورة الجاثية، الآيات ١٦-١٩.." (٢)

"إطلاقات كلمة الشريعة اصطلاحيا

...

إطلاقات كلمة الشريعة اصطلاحا:

---

(١) تحذير أهل الأيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن الإسعردي، إسماعيل ص/٣٩

(٢) مناظرة بين الإسلام والنصرانية مجموعة من المؤلفين ص/٤٦٣

ومن هذه التعريفات والنصوص التي نقلناها عن أهل اللغة، وعمن كتبوا في المصطلحات، نتبين أن الشرعة والشرع والشريعة كلمات مترادفة، وأصلها واحد.

وأن الشريعة تطلق على معان متعددة:

١- فالشريعة هي كل ما أنزله تعالى على نبي من أنبيائه، وهي تنتظم الاعتقاد والأحكام العملية والاخلاق، فهي ما شرعه الله من الاعتقاد والعمل كما في قوله تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ [الجاثية: ١٨] .

٢- وتطلق الشريعة كذلك على ما خص الله تعالى به كل نبي من الأحكام وما سنه لأمته، مما يختلف من دعوة نبي لآخر، من المناهج وتفصيل العبادات والمعاملات ... إلخ، وهنا نقول: إن الدين في أصله واحد والشرائع متعددة١، كما في قوله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ [المائدة: ٤٨] .

٣- وتطلق الشريعة أحي ا نا على ما شرعه الله لجميع الرسل من أصول الاعتقاد والبر والطاعة مما لا يختلف من دعوة نبي لآخر كما في قوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى﴾ [الشورى: ١٣] .

٤- وتطلق الشريعة بخاصة على "العقائد" التي يعتقدها أهل السنة من الإيمان مثل: اعتقادهم أن الإيمان قول وعمل، وأن الله موصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله خالق كل شيء، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه على كل شيء قدير، وأنهم لا يكفرون أهل القبلة بمجرد الذنوب، ويؤمنون بالشفاعة لأهل الكبائر، ونحو ذلك من عقود أهل السنة، فسموا أصول اعتقادهم شريعة ... وهذا المعنى الأخير للشريعة عليه مدار البحث هنا، وهو مقصودنا بهذا العنوان.

"والشريعة في هذا كالسنة التي تقدم الكلام عليها، فقد يراد بها ما سنه وشرعه من العقائد، وقد يراد بها ما سنه وشرعه من العمل، وقد يراد بها كلاهما"١.

---

١ انظر: "الإسلام وعلاقته بالشرائع الأخرى" ص٣٥-٤١، "التوحيد مفتاح دعوة الرسل" ص٢٥-٣٤.

٢ انظر: "مجموع فتاوى شيخ الإسلام": ١٩/ ٣٠٦، ٣٠٧.." (١)

"والأصل في الإسلام: أن الحكم بما أنزل الله واجب، وأن الحكم بغير ما أنزل الله محرم، ونصوص القرآن الكريم صريحة قاطعة في هذه المسألة. فالله -جل شأنه- يقول:

---

(١) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية عثمان جمعة ضميرية ص/١١٦

﴿إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه﴾ [يوسف: ٤٠] .
ويقول: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [المائدة: ٤٤] .
ويقول: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ [المائدة: ٤٥] .
ويقول: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ [المائدة: ٤٧] .
ويقول: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾ [الأعراف: ٣] .
ويقول: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ [الجاثية: ١٨] ...
ولا خلاف بين الفقهاء والعلماء في أن كل تشريع مخالف للشريعة الإسلامية باطل لا تجب له الطاعة، وأن كل ما يخالف الشريعة محرم على المسلمين، ولو أمرت به أو أباحته ال سلطة الحاكمة أيا كانت.
ومن المتفق عليه: أن من يستحدث من المسلمين أحكاما غير ما أنزل الله من غير تأويل يعتقد صحته، فإنه يصدق عليهم ما وصفهم به الله تعالى من الكفر." (١)

"وورد اسم المولى كذلك في قوله تعالى: ﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ (الجاثية آية ١٩) .
وقد جاءت هذه الآية عقب قوله تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ (الجاثية آية ١٨) .
ومعنى الآيتين فيما يقوله الإمام ابن كثير: اتبع ما أنزل إليك من ربك يا محمد، وأعرض عن المشركين، فإنهم لا يغنون عنك بل ولا عن بعضهم شيئا ولا يزيدون أنفسهم إلا خسارا ودمارا وهلكا، والله ولى المتقين، أما الكفار فلا مولى لهم إلا الطواغيت الذين يخرجونهم من النور إلى الظلمات.
ويقول الإمام الشوكاني: الشريعة في اللغة: المذهب، والملة، والمنهاج، ويقال: لمشرعة الماء وهي: مورد شاربيه شريعة، ومنه الشارع لأنه طريق إلى المقصد. فالمراد بالشريعة هنا: هو ما شرعه الله لعباده من الدين، والجمع شرائع- أي جعلناك يا محمد على م نهاج واضح من أمر الدين يوصلك إلى الحق، فاعمل بأحكامها في أمتك، ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** توحيد الله وشرائعه لعباده، وهم كفار قريش ومن وافقهم. فهم لا يدفعون عنك شيئا مما أراده الله إن اتبعت أهواءهم، إذ أن الظالمين أنصار ينصر بعضهم بعضا، والله ناصر المتقين وهو وليهم، لأنهم الذين اتقوا الشرك والمعاصي١.
ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي: المعنى: شرعنا لك شريعة كاملة تدعو إلى كل خير وتنهى عن كل شر

(١) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية عثمان جمعة ضميرية ص/٣٣٩

من أمرنا الشرعي. فاتبعها فإن في اتباعها السعادة الأبدية والصلاح والفلاح. ولا تتبع أهواء الذين تكون أهويتهم غير تابعة للعلم ولا ماشية خلفه، وكل من خالف هواه وإرادته شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنه من **أهواء الذين لا يعلمون**. فهؤلاء لا ينفعونك عند الله فيحصلوا لك الخير ويدفعوا عنك الشر، إن اتبعتهم على أهوائهم، ولا يصلح أن توافقهم وتواليهم فإنك وإياهم متباينون، ولذلك كان الظالمون بعضهم أولياء بعض. والله ولي المتقين يخرجهم من الظلمات إلى النور بسبب تقواهم وعملهم بطاعته٢.

ويقول صاحب صفوة التفاسير: في معنى الآيتين: المعنى جعلنك يا محمد على طريقة٣ واضحة. ومنهاج سديد رشيد من أمر الدين، فاتبع ما أوحى إليك ربك من الدين القيم ولا تتبع ضلالات المشركين؛ أي: آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش حيث

١فتح القدير الجزء الخامس ص ٨.بقليل تصرف.

٢تيسير الكريم الرحمن الجزء السابع ص١٤٤." (١)

"قالوا: ارجع إلى دين آبائك. فهم لن يدفعوا عنك شيئا من العذاب إن سايرتهم على ضلالهم. وإن الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا ولا ولي لهم في الآخرة، والله ولى المتقين أي ناصر ومعين المؤمنين المتقين في الدنيا والآخرة ١.

وأقول: إن أعظم شريعة، وأوسع شريعة، وأكمل شريعة عالجت كل جوانب الحياة في الدنيا والآخرة، والتي تولى الله سبحانه وتعالى تشريعها تفضلا، ورحمة، وهداية لأقوم طريق، وأنجى سبيل، خاتمة للشرائع التي أنزلها الله تعالى إنما هي شريعة رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. ومن ثم كان أمره تعالى إليه بقوله: ﴿فاتبعها﴾ بمعنى أن يلتزمها ويأخذ بها نفسه. ثم يدعو إليها الناس جميعا، ليلتزموها ويأخذوا بها أنفسهم كذلك منهجا لكل نواحي حياتهم لينالوا فوز الدارين.

ومن ثم يبين لنا أنه لا نجاة للبشرية من حمأة الضلال، ودركات الفسق ووهدة الإلحاد، إلا باطراح ما شرع البشر من قوانين صماء عمياء لا تبصر ما يصلح للإنسان، وما يهيئ له الحياة الطيبة، والانطلاق سريعا إلى اتباع الله تعالى الذي يعلم من خلق وما يصلح حياته، وهو اللطيف الخبير. ذلك بأن الله جل وعلا يتولى أمر المتقين الذين يجعلون بينهم وبين غضب الله وقاية تقيهم عذابه فهو سبحانه وليهم، وناصرهم بالحق على الباطل وأعوانه، وأما الظالمون فقد وكلهم سبحانه إلى أنفسهم يتولى بعضهم أمر بعض، فضاعوا وخسروا

---

(١) مفهوم الأسماء والصفات سعد بن عبد الرحمن ندا ٥٠ - ١٠٥/٥١

في الدنيا والآخرة.

وإنني حين تدبرت قوله تعالى: ﴿فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ بما تحمله من إثبات ونفي: الإثبات بالأمر باتباع ما أوحاه الله سبحانه من شرع، والنفي بالنهى عن اتباع أهواء الجهال المارقين عن أمر الله، حين تدبرت ذلك جال بخاطري قوله تعالى: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ وما ماثلها من الآيات بما تحمله كذلك من نفى وإثبات: النفي بأن يكفر بالطواغيت أيا كان نوعها من البشر، وما يشرعون من مناهج هابطة، ومن الجبارة منهم والطغاة، ومن الموتى وما يتوهم المتوهمون من تأثيرهم في حياة الخلق وتصريفها وتدبير أمرها. والإثبات بأن يخلص الإيمان بالله إلها واحدا، تجرد له الأعمال وحده جميعا.

فالنفي والإثبات في معنى (لا إله إلا الله) هو أساس الإيمان: نفى العبودية لغير الله سبحانه عبادة وتشريعا واثبات العبودية له سبحانه عبادة وتشريعا. وذلك على أساس

صفوة التفاسير المجلد الثالث ص ١٨٥." (١)

"وعرفها بعض المتأخرين بأنها أحكام الله المتعلقة بأفعال الإنسان (١) وهذا التعريف فيه قصور حيث خرج منه أمور الاعتقاد التي هي مرتكز الشريعة الإسلامية.

ولذلك لا تعد الشريعة (قانونا) بالمعنى الحديث لهذه الكلمة ولا هي كذلك من حيث مادتها، ذلك أنها وهي الرسالة التي لا يتطرق إليها الباطل تشمل جملة حياة الإنسان، من عقيدة وعبادة وسياسة واجتماع، وأخلاق على أوسع نطاق وبدون تقييد، كما تشمل حياة أهل الأديان الأخرى الذين يسمح لهم بالحياة بين المسلمين ما دام نشاطهم بريئا من العداوة للإسلام والمسلمين (٢).

ولذلك فالمعنى الاصطلاحي للشريعة الإسلامية، أنها شاملة لجميع ما شرعه الله لعباده من العقائد، وأحكام العبادات والمعاملات (٣).

قال تعالى: (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**) [الجاثية: ١٨].

وقال تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك .....) [الشورى: ١٣].

وقال تعالى: (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) [الشورى: ٢١] وقال تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) [المائدة: ٤٨].

---

(١) مفهوم الأسماء والصفات سعد بن عبد الرحمن ندا ٥٠ - ١٠٦/٥١

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية (١٣/ ٢٤٢، ٢٤٣).

(٢) المصدر السابق (١٣/ ٢٤٥).

(٣) المعجم الوسيط (١/ ٤٨٢).." (١)

"وقال تعالى لموسى وهارون: (فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) [يونس: ٨٩] وقال موسى لأخيه هارون كما ذكر الله عنه بقوله تعالى: (اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) [الأعراف: ١٤٢] وقال تعالى: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) [النساء: ١١٥] وقال تعالى: (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) وقال تعالى: (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**

* إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين) [المائدة: ٤٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لقد جعل الله عز وجل لرسوله شريعة شرعها له وأمره باتباعها ونهاه عن اتباع الذين لا يعلمون وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعة الإسلام واتبع الكفار قال تعالى: (وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق) [الجاثية: ١٨، ١٩] فمن دلائل الإيمان تعمد مخالفة أهواء الكفار وصد رغباتهم التي يقصدون بها جر المسلم إلى الكفر وإخراجه من الإسلام (١) اهـ.

السبب الثاني: هو معصية الكفار فيما أمروا به فإن الله تعالى نهى عن طاعة الكافرين، وأخبر أن المسلمين إن أطاعوهم ارتدوا عن الإيمان

(١) انظر سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك للشيخ حمد بن علي بن عتيق تحقيق إسماعيل بن عتيق (٢٩).." (٢)

"ورحم الله الإمام مالكا؛ فقد كان كثيرا ما ينشد:

)

وخير أمور الدين ما كان سنة ... وشر الأمور المحدثات البدائع (١)

(١) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية محماس الجلعود ٥٢/١

(٢) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية محماس الجلعود ٢٩٥/١

(

وأفضل المتعبدين بالاتفاق هو رسول الله- صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فكل عبادة خالفت عبادته؛ فهي بدعة لا تقرب صاحبها إلى الله بل لا تزيده منه إلا بعدا، قال الله تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ [الجاثية: ١٨] (٢) وقال: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾ [البقرة: ١٣٠] (٣) وقال: ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا﴾ [النساء: ١٢٥] (٤) .

ومما لا شك فيه أن سبيل وحدة المسلمين هو في وحدة العقيدة، العقيدة الصافية، التي اعتقدها الرعيل الأول من سلف هذه الأمة، وبها حكموا الدنيا بالقصد والعدل.

---

(١) انظر: " الاعتصام للإمام الشاطبي.

(٢) سورة الجاثية: الآية، ١٨.

(٣) سورة البقرة: الآية، ١٣٠.

(٤) سورة النساء: الآية، ١٢٥.." (١)

"ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [سورة المائدة: ٥١] .

وثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان، لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم (١) .

وهنا لابد أن نورد بعض النصوص الكثيرة والمستفيضة من الكتاب والسنة التي نهت عن مشابهة الكفار واتباع أهوائهم.

منها قوله تعالى:

﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** ﴿١٨﴾ إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴾ [سورة الجاثية: ١٨-١٩] .

يقول في تفسيرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: جعل الله محمدا صلى الله عليه وسلم على شريعة من الأمر شرعها له وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع **أهواء الذين لا يعلمون** وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته. وأهواءهم: هي ما يهوونه وما عليه المشركون من هديهم الظاهر الذي هو من موجبات دينهم الباطل وتوابع ذلك، فموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين لهم في

---

(١) الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ٢/٢٣٣

بعض الأمور ويسرون بذلك.

ولو فرض أن الفعل ليس من اتباع أهوائهم: فلا ريب أن مخالفتهم في ذلك

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم بتصرف من (ص ٢١٩-٢٢٢) .." (١)

"الفصل الحادي عشر: الولاية الصوفية

الولاية الرحمانية

أعلن القرآن أن كل مؤمن صادق في الإيمان ولي لله سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [البقرة: ٢٥٧] .

نصت الآية هنا على أن الله ولي كل مؤمن، وأنه بفضل هذه الولاية يخرج الله المؤمنين من الظلمات إلى النور، وقال تعالى أيضا: ﴿إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾ [الأعراف: ١٩٦] .

وقال تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ [الجاثية: ١٨-١٩] .

يخبر سبحانه وتعالى أنه ولي لكل من اتقاه وخافه. . وجاء في دعاء موسى - عليه السلام - لربه ﴿أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾ [الأعراف: ١٥٥] .

وقال تعالى أيضا: ﴿وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون﴾ [الأنعام: ١٢٦-١٢٧] .

وقال تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون." (٢)

"وقال تعالى: ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ .

وقال تعالى: ﴿وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ فهذه

---

(١) الولاء والبراء في الإسلام محمد بن سعيد القحطاني ص/٣٢٢

(٢) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة عبد الرحمن بن عبد الخالق ص/٢١٩

الآيات ونظائرها في كتاب الله تعالى، فيها البيان أن المختلفين ما اختلفوا حتى جاءهم العلم، والبينات- أي الدلائل الواضحات - بأن ما جاءت به الرسل هو الحق، فاختلفوا للبغي والظلم، لا لأن الحق اشتبه عليهم بالباطل، وهذه حال أهل البدع، والاختلاف المؤدي إلى الضلال.

فأصحاب الأهواء عامة لا يختلفون إلا بعد ظهور الحق لهم، ووضوح الهدى، فيبغي بعضهم على بعض، فكل فريق منهم له نحلة يضلل من خالفه فيها، ويرد الحق إذا لم يتفق مع باطله، ويكذب به.

وأما رسل الله تعالى فإنهم جاءوا بدين واحد- هو دين الإسلام - وأمرهم أن يدعوا إليه، ونهاهم عن التفرق فيه، وهو في الحقيقة دين أول الرسل وآخرهم، كما قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ . وقال تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ ، وقال تعالى: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم، وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون﴾ فقوله أمتكم أمة واحدة، يعني شريعتكم ودينكم واحدا، ولكن الناس اتخذوا كتبا كتبوها مبتدعين فيها غير ما جاءتهم به رسلهم مختلفين متفرقين بغيا وعدوانا. وقد قال تعالى: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة، رسول من الله يتلو صحفا مطهرة، فيها كتب قيمة، وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة، وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ ونظير هذه الآيات قوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر." (١)

"من الأقوات والثمار والأطعمة التي كانت بالشام. وقيل: يعني المن والسلوى في التيه." وفضلناهم على العالمين" أي على عالمي زمانهم، على ما تقدم في" الدخان" «١» بيانه" وآتيناهم بينات من الأمر" قال ابن عباس: يعني أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وشواهد نبوته بأنه يهاجر من تهامة إلى يثرب، وينصره أهل يثرب. وقيل: بينات الأمر شرائع واضحات في الحلال والحرام ومعجزات." فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم" يريد يوشع بن نون، فآمن بعضهم وكفر بعضهم، حكاه النقاش. وقيل:" إلا من بعد ما جاءهم العلم" نبوة النبي صلى الله عليه وسلم فاختلفوا فيها." بغيا بينهم" أي حسدا على النبي صلى الله عليه وسلم، قال معناه الضحاك. وقيل: معنى" بغيا" أي بغى بعضهم على بعض يطلب الفضل والرياسة، وقتلوا الأنبياء،

---

(١) ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة عبد الله بن محمد الغنيمان ص/٣١

فكذا مشركو عصرك يا محمد، قد جاءتهم البينات ولكن أعرضوا عنها للمنافسة في الرياسة." إن ربك يقضي بـينهم" أي يحكم ويفصل." يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون" في الدنيا.

[سورة الجاثية (٤٥): آية ١٨]

ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨)

فيه مسألتان: الأولى- قوله تعالى:" ثم جعلناك على شريعة من الأمر" الشريعة في اللغة: المذهب والملة. ويقال لمشرعة الماء- وهي مورد الشاربة-: شريعة. ومنه الشارع لأنه طريق إلى المقصد. فالشريعة: ما شرع الله لعباده من الدين، والجمع الشرائع. والشرائع في الدين: المذاهب التي شرعها الله لخلقه. فمعنى" جعلناك على شريعة من الأمر" أي على منهاج واضح من أمر الدين يشرع بك إلى الحق. وقال ابن عباس:" على شريعة" أي على هدى من الأمر. قتادة: الشريعة الأمر والنهي والحدود والفرائض. مقاتل: البينة، لأنها

---

(١). راجع ج ١٦ ص." (١)

"طريق إلى الحق. الكلبي: السنة، لأنه يستن بطريقة من قبله من الأنبياء. ابن زيد: الدين، لأنه طريق النجاة. قال ابن العربي: والأمر يرد في اللغة بمعنيين: أحدهما- بمعنى الشأن كقوله:" فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد" «١» [هود: ٩٧]. والثاني- أحد أقسام الكلام الذي يقابله النهي. وكلاهما يصح أن يكون مرادا ها هنا، وتقديره: ثم جعلناك على طريقة «٢» من الدين وهي ملة الإسلام، كما قال تعالى:" ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين" «٣» [النحل: ١٢٣]. ولا خلاف أن الله تعالى لم يغاير بين الشرائع في التوحيد والمكارم والمصالح، وإنما خالف بينهما في الفروع حسبما علمه سبحانه. الثانية- قال ابن العربي: ظن بعض من يتكلم في العلم أن هذه الآية دليل على أن شرع من قبلنا ليس بشرع لنا، لأن الله تعالى أفرد النبي صلى الله عليه وسلم وأمته في هذه الآية بشريعة، ولا ننكر أن النبي صلى الله عليه وسلم وأمته منفردان بشريعة، وإنما الخلاف فيما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنه من شرع من قبلنا في معرض المدح والثناء هل يلزم اتباعه أم لا. قوله تعالى:" ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**" يعني المشركين. وقال ابن عباس: قريظة والنضير. وعنه: نزلت لما دعته قريش إلى دين آبائه.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٦/١٦٣

[سورة الجاثية (٤٥): آية ١٩]

إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩)

قوله تعالى:" إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا" أي إن اتبعت أهواءهم لا يدفعون عنك من عذاب الله شيئا." وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض" أي أصدقاء وأنصار وأحباب. قال ابن عباس: يريد أن المنافقين أولياء اليهود." والله ولي المتقين" أي ناصرهم ومعينهم. والمتقون هنا: الذين اتقوا الشرك والمعاصي.

---

(١). آية ٩٧ سورة هود.

(٢). في ج ز ل: على شريعة من الدين.

(٣). آية ١٢ 3 سورة النحل.." [1]

"من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون (١٥) ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين (١٦) وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (١٧) ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩) هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون (٢٠)." [2]

"طريق إلى النجاة وقال ابن العربي: الأمر يرد في اللغة بمعنيين أحدهما بمعنى الشأن كقوله: (واتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد) والثاني ما يقابله النهي وكلاهما يصح أن يكون مرادا هنا وتقديره ثم جعلناك على طريقة من الدين، وهي ملة الإسلام، كما قال تعالى (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا) ولا خلاف أن الله تعالى لم يغاير بين الشرائع في التوحيد والمكارم والمصالح، وإنما خالف بينها في الفروع حسب ما علمه سبحانه وتعالى.

(فاتبعها) أي فاعمل بأحكامها في أمتك (ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**) توحيد الله وشرائعه لعباده، وهم كفار قريش ومن وافقهم، ثم علل النهي عن اتباع أهوائهم فقال:." [3]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٦٤/١٦

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٢٣/١٢

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٢٥/١٢

"وهذا – أيضا – ضعيف . فإن أهل الكتاب تفرقوا واختلفوا قبل إرسال محمد إليهم، كما أخبر الله بذلك في غير موضع . فقال تعالى : ﴿ ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ [الجاثية : ١٦ ، ١٧] . وقال : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** ﴾ [الجاثية : ١٨] . وقال تعالى : ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ ، ثم قال : ﴿ وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ [البقرة : ٢١٣] . فأخبر أن الله هدي المؤمنين لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه . فكان الاختلاف قبل وجود أمة محمد صلى الله عليه وسلم . وقال تعالى : ﴿ إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ [النحل : ١٢٤] . وقال تعالى : ﴿ ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك." (١)

"لهم عذر في الاختلاف وهذا كقوله تعالى ﴿وأضله الله على علم﴾ [الجاثية: ٢٣] وهذا الكلام كناية عن عدم التعجيب من اختلاف المشركين مع المؤمنين حيث أن المشركين ليسوا على علم ولا هدى ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ملطوف به في رسالته.

والبغي: الظلم. والمراد: أن اختلافهم عن عمد ومكابرة بعضهم لبعض وليس عن غفلة أو تأويل، وهذا الظلم هو ظلم الحسد فإن الحسد من أعظم الظلم، أي فكذلك حال نظرائهم من المشركين ما اختلفوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا بغيا منهم عليه مع علمهم بصدقه بدلالة إعجاز القرآن لفظا ومعاني.

وانتصب ﴿بغيا﴾ أما على المفعول لأجله، وإما على الحال بتأويل المصدر باسم الفاعل، وعلى كلا الوجهين فالعامل فيه فعل ﴿اختلفوا﴾ ، وإن كان منفيا في اللفظ لأن الاستثناء أبطل النفي إذ ما أريد إلا نفي أن يكون الاختلاف في وقت قبل أن يحثهم العلم فلما استفيد ذلك بالاستثناء صار الاختلاف ثابتا وما عدا ذلك غير منفي.

وجملة ﴿إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ مستأنفة استئنافا بيانيا لأن خبرهم العجيب يثير سؤالا في نفس سامعه عن جزاء الله إياهم على فعلهم، وهذا جواب فيه إجمال لتهويل ما

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير) ٤/٤٣١

سيقضى به بينهم في الخير والشر لأن الخلاف يقتضي محقا ومبطلا.

ونظير هذه الآية قوله تعالى ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ [يونس:٩٣]

[١٩,١٨] ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾

﴿ثم﴾ للتراخي الرتبي كما هو شأنها في عطف الجمل، ولولا إرادة التراخي الرتبي لكانت الجملة معطوفة بالواو. وهذا التراخي يفيد أن مضمون الجملة المعطوفة بحرف ﴿ثم﴾ أهم من مضمون الجملة المعطوف عليها أهمية الغرض على المقدمة والنتيجة على الدليل. وفي هذا التراخي تنويه بهذا الجعل وإشارة إلى أنه أفضل من إيتاء بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة والبينات من الأمر، فنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه وحكمه وبيناته." (١)

"أفضل وأهدى مما أوتيه بنو إسرائيل من مثل ذلك.

و ﴿على﴾ للاستعلاء المجازي، أي التمكن والثبات على حد قوله تعالى ﴿ أولئك على هدى من ربهم﴾ [البقرة: ٥]

وتنوين ﴿شريعة﴾ للتعظيم بقرينة حرف التراخي الرتبي.

والشريعة: الدين والملة المتبعة، مشتقة من الشرع وهو: جعل طريق للسير، وسمي النهج شرعا تسمية بالمصدر. وسميت شريعة الماء الذي يرده الناس شريعة لذلك، قال الراغب: استعير اسم الشريعة للطريقة الإلهية تشبيها بشريعة الماء قلت: ووجه الشبه ما في الماء من المنافع وهي الري والتطهير.

و ﴿الأمر﴾ : الشأن، وهو شأن الدين وهو شأن من شؤون الله تعالى، قال تعالى ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ [الشورى: ٥٢]، فتكون ﴿من﴾ تبعيضية وليست كالتي في قوله آنفا ﴿وآتيناهم بينات من الأمر﴾ [الجاثية: ١٧] لأن إضافة ﴿شريعة﴾ إلى ﴿الأمر﴾ تمنع من ذلك.

وقد بلغت هذه الجملة من الإيجاز مبلغا عظيما إذ أفادت أن شريعة الإسلام أفضل من شريعة موسى، وأنها شريعة عظيمة، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم متمكن منها لا يزعزعه شيء عن الدأب في بيانها والدعوة إليها. ولذلك فرع عليه أمره باتباعها بقوله ﴿فاتبعها﴾ أي دم على اتباعها، فالأمر لطلب الدوام مثل ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله﴾ [النساء: ١٣٦].

---

(١) التحرير والتنوير ٣٦٥/٢٥

وبين قوله ﴿فاتبعها﴾ وقوله ﴿ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ محسن المطابقة بين الأمر بالاتباع والنهي عن اتباع آخر.

و ﴿الذين لا يعلمون﴾ هم المشركون وأهواؤهم دين الشرك قال تعالى ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ [الجاثية: ٢٣]

والأهواء: جمع هوى، وهو المحبة والميل. والمعنى: أن دينهم أعمال أحبوها لم يأمر الله بها ولا اقتضتها البراهين.

والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم. والمقصود منه: إسماع المشركين لئلا يطمعوا بصانعة الرسول صلى الله عليه وسلم إياهم حين يرون منه الإغضاء عن هفواتهم وأذاهم وحين يسمعون في القرآن بالصفح عنهم كما في الآية السالفة ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ [الجاثية: ١٤] وفيه أيضا تعريض للمسلمين بأن يحذروا من **أهواء الذين لا يعلمون**. وعن ابن عباس أنها نزلت لما دعته قريش إلى دين آبائه قال البغوي: كانوا يقولون له: ارجع." (١)

"إلى دين آبائك فإنهم أفضل منك.

وجملة ﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا﴾ تعليل للنهي عن اتباع **أهواء الذين لا يعلمون**، ويتضمن تعليل الأمر باتباع شريعة الله فإن كونهم لا يغنون عنه من الله شيئا يستلزم أن في مخالفة ما أمر الله من اتباع شريعته ما يوقع في غضب الله وعقابه فلا يغني عنه اتباع أهوائهم من عقابه.

والإغناء: جعل الغير غنيا، أي غير محتاج، فالآثم المهدد من قدير غير غني عنه الذي يعاقبه ولو حماه من هو كفء لمهدده أو أقدر منه لأغناه عنه وضمن فعل الإغناء معنى الدفع فعدي ب"عن". وانتصب ﴿شيئا﴾ على المفعول المطلقن و ﴿من الله﴾ صفة ل ﴿شيئا﴾ . و ﴿من﴾ بمعنى بدل، أي لن يغنوا عنك بدلا من عذاب الله، أي قليلا من الإغناء البديل من عقاب الله فالكلام على حذف مضاف، وتقدم عند قوله تعالى ﴿إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا﴾ في آل عمران [١٠].

وعطف على هذا التعليل تعليل آخر وهو ﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض ﴾ أي إنهم ظالمون وأنت لست من الظالمين في شيء فلا يجوز أن تتبعهم في شيء وإنما يتبعهم من هم أولياؤهم. وذيل ذلك بقوله ﴿والله ولي المتقين﴾ وهو يفيد أن النبيء صلى الله عليه وسلم الله وليه لأن النبي صلى الله عليه وسلم أول المتقين.

---

(١) التحرير والتنوير ٣٦٦/٢٥

[٢٠] ﴿هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾ إن كانت الإشارة إلى الكلام المتقدم وما فيه من ضرب المثل بموسى وقومه ومن تفضيل شريعة محمد على شريعة موسى عليهما الصلاة والسلام والأمر بملازمة اتباعها والتحذير من اتباع رغائب الذين لا يعلمون، فهذه الجملة بمنزلة التذييل لما قبلها والتهيئة لأغراضها تنبيها لما في طيها من عواصم عن الشك والباطل بمنزلة قوله تعالى بعد عدة آيات في آخر سورة الأحقاف [٣٥] ١ ﴿بلاغ﴾ ، وقوله في سورة الأنبياء[١٠٥,١٠٦] ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين﴾

وإن كانت الإشارة إلى القرآن إذ هو حاضر في الأذهان كانت الجملة استئنافا أعيد

ـ

١ في المطبوعة "الفتح" وهو خطأ.." (١)

" صفحة رقم ٢٦٣

أحدهما : أنها ثابتة في العفو عن الأذى في غير الدين .

الثاني : أنها منسوخة وفيما نسخها قولان :

أحدهما : بقوله سبحانه) فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (قاله قتادة .

الثاني : بقوله) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا (قاله أبو صالح .

(الجاثية : (١٦ - ٢٠) ولقد آتينا بني . . . . .

" ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون " (قوله عز وجل :) وءاتيناهم بينات من الأمر (فيه وجهان :

أحدهما : ذكر الرسول وشواهد نبوته .

الثاني : بيان الحلال والحرام ، قاله السدي .

) فما اختلفوا إلا من بعد ما جآءهم العلم (فيه قولان :

أحدهما : من بعد يوشع بن نون فآمن بعضهم وكفر بعضهم ، حكاه النقاش .

---

(١) التحرير والتنوير ٣٦٧/٢٥

الثاني : بعدما أعلمهم الله ما في التوراة .

) بغيا بينهم (فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : طلبا للرسالة وأنفة من الإذعان للصواب ، حكاه ابن عيسى .

الثاني : بغيا على رسول الله صلى عليه وسلم في جحود ما في كتابهم من نبوة وصفته ، قاله الضحاك .." (١)

٢٦٥"

زمانهم

" وآتيناهم بينات من الأمر " يعني الحلال والحرام وبيان ما كان قبلهم ثم اختلفوا بعده

قوله تعالى " فما اختلفوا " يعني في الدين " إلا من بعد ما جاءهم العلم " أي صفة النبي صلى الله عليه وسلم في كتبهم " بغيا بينهم " يعني حسدا منهم وطلبا للعز والملك

ويقال اختلفوا في الدين فصاروا أحزابا فيما بينهم يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من دين بعض

قال الله تعالى " إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة " يعني يحكم بينهم " فيما كانوا فيه يختلفون " في الكتاب والدين

سورة الجاثية ١٨ – ٢٠

قوله عز وجل " ثم جعلناك على شريعة من الأمر " يعني أمرناك وألزمناك وأثبتناك على شريعة يعني على سنة من الأمر وذلك حين دعوه إلى ملتهم

ويقال " على شريعة " يعني على ملة ومذهب

ويقال " جعلناك على شريعة من الأمر " أي أمرناك وألزناك على شريعة

وقال قتادة الشريعة الفرائض والحدود والأحكام

" فاتبعها " يعني اثبت عليها

" ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** " يعني لا يصدقون بالتوحيد " إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا " يعني إن تركت الإسلام إنهم لا يمنعوك من عذاب الله شيئا " وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض " يعني بعضهم على دين بعض " والله ولي المتقين " أي ناصر الموحدين المخلصين

قوله تعالى " هذا بصائر للناس " يعني هذا بيان للناس ويقال " بصائر للناس " يبصرهم ما لهم وما عليهم

---

(١) النكت والعيون ـ موافق للمطبوع ٥/٢٦٣

والواحدة بصيرة يعني يبين لهم الحلال والحرام

ويقال هذا القرآن دلائل للناس

ويقال دعوة وكرامة

" وهدى ورحمة " يعني هدى من الضلالة ورحمة من العذاب " لقوم يوقنون " يعني يصدقون بالرسل والكتاب ويوقنون أن الله تعالى أنزل نعمة وفضلا

سورة الجاثية ٢١ - ٢٣." (١)

"﴿ ٣٧ ﴾ ﴿ وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ﴾ .

أي: ولقد أنزلنا هذا القرآن والكتاب حكما، عربيا أي: محكما متقنا، بأوضح الألسنة وأفصح اللغات، لئلا يقع فيه شك واشتباه، وليوجب أن يتبع وحده، ولا يداهن فيه، ولا يتبع ما يضاده ويناقضه من **أهواء الذين لا يعلمون**.

ولهذا توعد رسوله -مع أنه معصوم- ليمتن عليه بعصمته ولتكون أمته أسوته في الأحكام فقال: ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم ﴾ البين الذي ينهاك عن اتباع أهوائهم، ﴿ ما لك من الله من ولي ﴾ يتولاك فيحصل لك الأمر المحبوب، ﴿ ولا واق ﴾ يقيك من الأمر المكروه.." (٢)

"﴿ ١٨-١٩ ﴾ ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴾ .

أي: ثم شرعنا لك شريعة كاملة تدعو إلى كل خير وتنهى عن كل شر من أمرنا الشرعي ﴿ فاتبعها ﴾ فإن في اتباعها السعادة الأبدية والصلاح والفلاح، ﴿ ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** ﴾ أي: الذين تكون أهويتهم غير تابعة للعلم ولا ماشية خلفه، وهم كل من خالف شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم هواه وإرادته فإنه من **أهواء الذين لا يعلمون**.

﴿ إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ﴾ أي: لا ينفعونك عند الله فيحصلوا لك الخير ويدفعوا عنك الشر

---

(١) بحر العلوم ـ موافق للمطبوع ٣/٢٦٥

(٢) تفسير السعدي ص/٤١٩

إن اتبعتهم على أهوائهم، ولا تصلح أن توافقهم وتواليهم فإنك وإياهم متباينون، وبعضهم ولي لبعض ﴿ والله ولي المتقين ﴾ يخرجهم من الظلمات إلى النور بسبب تقواهم وعملهم بطاعته.." (١)

" صفحة رقم ١٠٠

إليك بإرسالك وتكثير أمتك وحفظهم مما ضل به القرون الأولى وبيان يوم الفصل الذي هو محط الحكمة بيانا لم يبينه على لسان أحد ممن سلف) يقضي بينهم (بإحصاء الأعمال والجزاء عليها ، لأن هذا مقتضى الحكمة والعزة) يوم القيامة (الذي ينكره قومك الذين شرفناهم برسالتك مع أنه لايجوز في الحكمة إنكاره) فيما كانوا) أي بما هو لهم كالجبلة) فيه يختلفون (بغاية الجهد متعمدين له بخلاف ما كان يقع منهم خطأ فإنه يجوز في الحكمة أن يتفضل عليهم بالعفو عنه فقد علم أنه لا يجوز في الحكمة أصلا أن يترك المختلفون من غير حكم بينهم لأن هذا لا يرضاه أقل الملوك فإنه لايعرف الملك إلا بالقهر والعزة ولا يعرف كونه حكيما إلا بالعدل ، وإذا كان هذا لا يرضاه ملك فكيف يرضاه ملك الملوك ، وإذا كان هذا القضاء مقتضى الحكمة كان لا فرق فيه بين ناس ناس ، فهو يقتضي بينكم أيضا كذلك ، ومن التأكيد للوعد بذلك اليوم التعبير باسم الرب مضافا إليه (صلى الله عليه وسلم) .

ولما كان معنى هذا أنه سبحانه وتعالى جعل بني إسرائيل على شريعة وهددهم على الخلاف فيها ، فكان تهديدهم تهديدا لنا ، قال مصرحا بما اقتضاه سوق الكلام وغيره من تهديدنا منبها على علو شريعتنا : (ثم) أي بعد فترة من رسلهم ومجاوزة رتب كثيرة عالية على رتبة شريعتهم) جعلناك) أي بعظمتنا) على شريعة) أي طريقة واسعة عظيمة ظاهرة مستقيمة سهلة موصلة إلى المقصود هي جديرة بأن يشرع الناس فيها ويخالطوها مبتدئة) من الأمر (الذي هو وحينا وهو حياة الأرواح كما أن الأرواح حياة الأشباح ولما بين بهذه العبارة بعض فضلها على ما كان قبلها ، سبب عنه قوله موجها الخطاب إلى الإمام بما أراد به المأمومين ليكون أدعى إلى اجتهادهم ، فإن أمرهم تكليف وأمر إمامهم تكوين : (فاتبعها) أي بغاية جهدك .

ولما كانت الشريعة العقل المحفوظ الذي أخبر الله أنه به يأخذ وبه يعطي ، كان الإعراض عنها إلى غيرها إنما هو هوى ، ولما كان أحاد الأمة غير معصومين أشار إلى العقو عن هفواتهم بقوله تعالى : (ولا تتبع) أي تتعمدا أن تتبعوا) **أهواء الذين لا يعلمون**) أي لا علم لهم أو لهم علم ولكنهم يعملون عمل من ليس لهم علم أصلا من كفار العرب وغيرهم ، فإن من تعمد اتباعهم فعلت بهم ما فعلت ببني إسرائيل حيث

---

(١) تفسير السعدي ص/٧٧٧

لعنتهم على لسان داود وعيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام بعد ما لعنتهم على لسان موسى عليه الصلاة والسلام ، ثم علل هذا النهي مهددا بقوله : مؤكدا تنبيها على أن من خالف أمر الله لأجل أحد كان عمله عمل من يظن أنه يحميه : (إنهم (وأكد النفي فقال تعالى : (لن يغنوا عنك) أي لا." (١)

"﴿كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم﴾ : تقدم الكلام في إعراب كذلك ، وفي تبيين وقوع من قبلهم صلة للذين في قوله : ﴿والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ والذين من قبلهم. إن فسر الموصول في الذين لا يعلمون بكفار العرب ، أو مشركي مكة ، فالذين من قبلهم هم الأمم المكذبة من أسلافهم وغيرهم. وإن فسر باليهود أو النصارى ، فالذين من قبلهم

٣٦٦

أسلافهم ، وانتصاب مثل قولهم على البدل من موضع الكاف. ولا تدل المثلية على التماثل في نفس المقول ، يل يحتمل أن من قبلهم اقترحوا غير ذلك ، وأن المثلية وقعت في اقتراح ما لا يليق سؤاله ، وإن لم تكن نفس تلك المقالة ، إذ المثلية تصدق بهذا المعنى. ﴿تشابهت قلوبهم﴾ : الضمير عائد على ﴿الذين لا يعلمون﴾ ، ﴿والذين من قبلهم﴾ . لما ذكر تماثل المقالات ، وهي صادرة عن الأهواء والقلوب ، ذكر تماثل قلوبهم في العمى والجهل ، كقوله تعالى : ﴿أتواصوا بها﴾ . قيل : تشابهت قلوبهم في الكفر. وقيل : في القسوة. وقيل : في التعنت والاقتراح. وقيل : في المحال. وقرأ ابن أبي إسحاق ، وأبو حيوة : تشابهت ، بتشديد الشين. وقال أبو عمرو الداني : وذلك غير جائز ، لأنه فعل ماض ، يعني أن اجتماع التاءين المزيدتين لا يكون في الماضي ، إنما يكون في المضارع نحو : تتشابه ، وحينئذ يجوز فيه الإدغام. أما الماضي فليس أصله تتشابه. وقد مر نظير هذه القراءة في قوله : ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ ، وخرجنا ذلك على تأويل لا يمكن هنا ، فيتطلب هنا تأويل لهذه القراءة.

﴿قد بينا الايات لقوم يوقنون﴾ : أي أوضحنا الآيات ، فاقتراح آية مع تقدم مجيء آيات وإيضاحها ، إنما هو على سبيل التعنت. هذا ، وهي آيات مبينات ، لا لبس فيها ، ولا شبهة ، لشدة إيضاحها. لكن لا يظهر كونها آيات إلا لمن كان موقنا ، أما من كان في ارتياب ، أو شك ، أو تغافل ، أو جهل ، فلا ينفع فيه الآيات ، ولو كانت في غاية الوضوح. ألا ترى إلى قولهم : ﴿إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ ؟ وقول أبي جهل ، وقد سأل أهل البوادي الوافدين إلى مكة عن انشقاق القمر ، فأخبروه به ، فقال بعد ذلك : هذا سحر مستمر. ولما ذكر أن اقتراح ما تقدم إنما هو من **أهواء الذين لا يعلمون** ،

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب) ١٠٠/٧

قال في آخرها : ﴿لقوم يوقنون﴾ . والإيقان : وصف في العلم يبلغ به نهاية الوثاقة في العلم ، أي من كان موقنا ، فقد أوضحنا له الآيات ، فآمن بها ، ووضحت عنده ، وقامت به الحجة على غيره. وفي جميع الآيات رد على من اقتراح آية ، إذ الآيات قد بينت ، فلم يكن آية واحدة ، فيمكن أن يدعي الالتباس فيها ، بل ذلك جمع آيات بينات ، لكن لا ينتفع بها إلا من كان من أهل العلم والتبصر واليقين.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٣٥٤

﴿إنآ أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ﴾ : بشيرا لمن آمن ، ونذيرا لمن كفر. وهذه الآية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان يضيق صدره لتماديهم على ضلالهم. ومناسبة هذه الآية لما قبلها : أنه لما ذكر أنه بين الآيات ، ذكر من بينت على يديه ، فأقبل عليه وخاطبه صلى الله عليه وسلم ليعلم أنه هو صاحب الآيات فقال : ﴿إنآ أرسلناك بالحق﴾ ، أي بالآيات الواضحة ، وفسر الحق هنا بالصدق وبالقرآن وبالإسلام. وبالحق في موضع الحال ، أي أرسلناك ومعك الحق لا يزايلك. وانتصاب بشيرا ونذيرا على الحال من الكاف ، ويحتمل أن يكون حالاً من الحق ، لأن ما جاء به من الحق يتصف أيضا بالبشارة والنذارة. والأظهر الأول. وعدل إلى فعيل للمبالغة ، لأن فعيلا من صفات السجايا ، والعدل في بشير للمبالغة ، مقيس عند سيبويه ، إذا جعلناه من بشر لأنهم قالوا بشر مخففا ، وليس مقيسا في نذير لأنه من أنذر ، ولعل محسن العدل فيه كونه معطوفا على ما يجوز ذلك فيه ، لأنه قد يسوغ في الكلمة مع الاجتماع مع ما يقابلها ما لا يسوغ فيها لو انفردت ، كما قالوا : أخذه ما قدم وما حدث وشبهة.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٣٥٤

﴿ولا تسال عن أصحاب الجحيم﴾ : قراءة الجمهور : بضم التاء واللام. وقرأ أبي : وما تسأل. وقرأ ابن مسعود : ولن تسأل ، وهذا كله خبر. فالقراءة الأولى ، وقراءة أبي يحتمل أن تكون الجملة مستأنفة ، وهو الأظهر ، ويحتمل أن تكون في موضع الحال. وأما قراءة ابن مسعود فيتعين فيها الاستئناف ، والمعنى على الاستئناف أنك لا تسأل عن الكفار ما لهم لم يؤمنوا ، لأن ذلك ليس إليك ، ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ ، ﴿إنك لا تهدى من أحببت﴾ ، ﴿إنمآ أنت منذر﴾ . وفي ذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم ، وتخفيف ما كان يجده من عنادهم ،

٣٦٧

." (١)

(١) تفسير البحر المحيط . موافق للمطبوع (دار الفكر) ٣١٧/١

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ [الجاثية: ١٩] يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم جعلناك يا محمد من بعد الذي آتينا بني إسرائيل، الذين وصفت لك صفتهم ﴿على شريعة من الأمر﴾ [الجاثية: ١٨] يقول: على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا ﴿فاتبعها﴾ [الجاثية: ١٨] يقول: فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك ﴿ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ [الجاثية: ١٨] يقول: ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون بالله، الذين لا يعرفون الحق من الباطل، فتعمل به، فتهلك إن عملت به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل." (١)

"حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ﷺثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها﴾ [الجاثية: ١٨] " والشريعة: الفرائض والحدود والأمر والنهي " ﴿فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ [الجاثية: ١٨]." (٢)

"سورة الجاثية

مكية، وهي سبع وثلاثون آية، وأربعمائة وثمان وثمانون كلمة، وألفان ومائة وواحد وتسعون حرفا

أخبرنا أبو الحسن محمد بن القاسم الفقيه، أخبرنا أبو عمرو محمد بن جعفر العدل، حدثنا إبراهيم بن شريك بن الفضل، حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، حدثنا سلام بن سليم، حدثنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته عند الحساب» [٢١٩] «١» .

بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة الجاثية (٤٥) : الآيات ١ الى ٢١]

بسم الله الرحمن الرحيم

حم (١) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (٢) إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين (٣) وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون (٤)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٨٥/٢١

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٨٥/٢١

واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون (٥) تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون (٦) ويل لكل أفاك أثيم (٧) يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم (٨) وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين (٩)

من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم (١٠) هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم (١١) الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٢) وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (١٣) قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون (١٤)

من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون (١٥) ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين (١٦) وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (١٧) ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩)

هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون (٢٠) أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون (٢١)

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين

---

(١) تفسير مجمع البيان: ٩/ ١١٨.." [(١)]

"قال يهودي بالمدينة يقال له فنحاص: احتاج رب محمد.

قال: فلما سمع بذلك عمر بن الخطاب اشتمل على سيفه وخرج في طلبه. فجاء جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: إن ربك يقول: قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله، وأعلم إن عمر بن الخطاب قد اشتمل على سيفه وخرج في طلب اليهودي» . فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في طلبه، فلما جاءه، قال: «يا عمر خرج سيفك؟» . قال: صدقت يا رسول الله، أشهد أنك أرسلت بالحق، قال:

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣٥٨/٨

«فإن ربك يقول: قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله «١» » [٢٢٠] .

قال: لا جرم والذي بعثك بالحق لا يرى الغضب في وجهي.

قال القرظي والسدي: نزلت في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا في أذى شديد من المشركين، قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى هذه الآية ثم نسختها آية القتال.

ليجزي قوما بفتح الياءين وكسر الزاء، وقرأ أبو جعفر بضم الياء الأولى وجزم الثانية، قال أبو عمرو: وهو لحن ظاهر، وقال الكسائي: وهذه ليجري الجزاء قوما، وقرأ الباقون بفتح الياءين على وجه الخبر عن الله تعالى، واختاره أبو عبيده وأبو حاتم لذكر الله تعالى قبل ذلك.

بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها. ثم إلى ربكم ترجعون ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات الحلالات، يعني المن والسلوى. وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر يعني أحكام التوراة.

فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم. إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة سنة وطريقة. من الأمر من الدين.

فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** يعني مراد الكافرين الجاهلين، وذلك حين دعي إلى دين آبائه.

إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا إن اتبعت أهواءهم. وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين هذا يعني هذا القرآن. بصائر معالم. للناس في الحدود والأحكام يبصرون بها.

وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا اكتسبوا. السيئات

يعني الكفر والمعاصي.

أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء

قرأ أهل الكوفة نصبا واختاره أبو عبيدة، وقال: معناه نجعلهم سواء، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء والخبر، واختاره أبو حاتم، وقرأ الأعمش ومماتهم بنصب التاء على الظرف، أي في.

محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون

بئس ما يقضون، قال المفسرون: معناه المؤمن في

(١) أسباب نزول الآيات: ٢٥٤.." (١)

"﴿ثم جعلناك على شريعة﴾ مذهب وملة ﴿من الأمر﴾ من الدين ﴿فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ مراد الكافرين." (٢)

"١٨ - قوله تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها﴾ قال الفراء: يقال دين وملة ومنهاج، كل ذلك يقال (١).

وقال أبو عبيدة: على طريقة وسنة (٢).

وقال المبرد: على منهاج وقصد، وبذلك سميت شريعة النهي (٣)؛ لأنها يوصل منها إلى الانتفاع، والشرائع في الدين المذاهب التي شرعها الله لخلقه، وهذا الحرف مما قد تقدم تفسيره [الشوري: ١٣، ٢١].

قال ابن عباس: يريد على دين ظاهر رضيته لك (٤) ﴿فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ قال يريدت قريظة والنضير (٥).

وقال مقاتل: الذين لا يعلمون توحيد الله يعني كفار قريش (٦)، وقال الكلبي: إن رؤساء قريش قالوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- وهو بمكة: ارجع إلى ملة آبائك فهم كانوا أفضل منك (٧) وأسن، فأنزل الله هذه الآية.

١٩ - ثم ذكر أن اتباعهم لا ينفعه، وأنهم لا يدفعون عنه ولا ينفعونه فقال: ﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا﴾ لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا: ﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ قال ابن عباس:

---

(١) انظر: "معاني القرآن" للفراء ٣/ ٤٦.

(٢) انظر: "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢١٠.

(٣) انظر: "أحكام القرآن" لابن العربي ٤/ ١٦٩٤، ولم أقف عليه عند المبرد.

(٤) ذكر ذلك الماوردي في "تفسيره" ونسبه لابن زيد. انظر: ٥/ ٢٦٤، ونسبه القرطبي لابن عباس لكن

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٨/٣٦٠

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٩٩٠

بلفظ (على هدى من الأمر) انظر: ١٦/ ١٦٣.

(٥) انظر: "الجامع لأحكام القرآن" ١٦/ ١٦٤.

(٦) انظر: "تفسير مقاتل" ٣/ ٨٣٨.

(٧) ذكر ذلك مقاتل ٣/ ٨٣٨، والبغوي في "تفسيره" ٧/ ٢٤٣.." (١)

"السيئات، كأنه قال: لا تكافئوهم أنتم، لنكافئهم نحن.

ثم ذكر المؤمنين وأعمالهم، والمشركين وأعمالهم، بقوله: ﴿من عمل صالحا﴾ [الجاثية: ١٥] الآية.

﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين ﴿١٦﴾ وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴿١٧﴾ ﴾ [الجاثية: ١٦-١٧] ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب﴾ [الجاثية: ١٦] التوراة، والحكم الفهم في الكتاب، ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ [الجاثية: ١٦] يعني: المن والسلوى، ﴿وفضلناهم على العالمين﴾ [الجاثية: ١٦] تقدم تفسيره.

قال ابن عباس: لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله، ولا أحب إليه منهم.

﴿وآتيناهم بينات من الأمر﴾ [الجاثية: ١٧] يعني: العلم بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم، وما بين لهم من أمره، فما اختلفوا إلى آخر الآية مفسر في مواضع.

﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴿١٨﴾ إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴿١٩﴾ ﴾ [الجاثية: ١٨-١٩] ثم جعلناك يا محمد، ﴿على شريعة من الأمر﴾ [الجاثية: ١٨] على دين وملة، ومنهاج وطريقة، يعني: بعد موسى وقومه، ﴿فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ [الجاثية: ١٨] توحيد الله، يعني: كفار قريش، قالوا له: ارجع إلى دين آبائك، فهم كانوا أفضل منك.

ثم ذكر أن اتباعهم لا ينفعه، ولا يدفعون عنه شيئا، فقال: ﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا﴾ [الجاثية: ١٩] لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا لو اتبعتهم، ﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾ [الجاثية: ١٩] يعني: المشركين، ﴿والله ولي المتقين﴾ [الجاثية: ١٩] يعني: المؤمنين، الذين اتقوا الشرك.

﴿هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ﴿٢٠﴾ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴿٢١﴾ وخلق الله السموات

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٠/١٤٢

والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ﴿٢٢﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٠-٢٢] هذا يعني: هذا القرآن، بصائر للناس فسرناها في آخر ﴾ [الأعراف.

قوله:] أم حسب الذين." (١)

"وأمره أن يعفو عنه (١) .

وقال القرظي والسدي: نزلت في أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا في أذى شديد من المشركين، من قبل أن يؤمروا بالقتال، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله هذه الآية (٢) ثم نسختها آية القتال (٣) . ﴿ليجزي قوما﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي "لنجزي" بالنون، وقرأ الآخرون بالياء، أي ليجزي الله، وقرأ أبو جعفر "ليجزى" بضم الياء الأولى وسكون الثانية وفتح الزاي، قال أبو عمرو: وهو لحن، قال الكسائي: معناه ليجزي الجزاء قوما، ﴿بما كانوا يكسبون﴾ .

﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون (١٥) ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين (١٦) وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (١٧) ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨) ﴾

﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب﴾ التوراة، ﴿والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات﴾ الحلالات، يعني ١٢٢/أالمن والسلوى، ﴿وفضلناهم على العالمين﴾ أي عالمي زمانهم، قال ابن عباس لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا أحب إليه منهم.

﴿وآتيناهم بينات من الأمر﴾ يعني العلم بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من أمره، ﴿فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ .

﴿ثم جعلناك﴾ [يا محمد] (٤) ﴿على شريعة﴾ سنة وطريقة بعد موسى، ﴿من الأمر﴾ من الدين، ﴿فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ يعني مراد الكافرين، وذلك أنهم كانوا

---

(١) انظر: زاد المسير: ٧ / ٣٥٨.

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٩٧/٤

(٢) انظر: زاد المسير: ٧ / ٣٥٨ وقد عزاه مع سابقه للبغوي.

(٣) انظر فيما سبق ٣ / ٣٢.

(٤) زيادة من "ب".." (١)

"يجرعونهم من الغصص بما كانوا يكسبون من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قوله عمر: ليجزي عمر بما صنع: ليجزي بصبره واحتماله. وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول الآية: والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهى. وقرئ: ليجزي قوما، أى: الله عز وجل. وليجزي قوم. وليجزي قوما، على معنى: وليجزي الجزاء قوما.

[سورة الجاثية (٤٥) : الآيات ١٦ الى ١٧]

ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين (١٦) وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (١٧)

الكتاب التوراة والحكم الحكمة والفقه. أو فصل الخصومات بين الناس، لأن الملك كان فيهم والنبوة من الطيبات مما أحل الله لهم وأطاب من الأرزاق وفضلناهم على العالمين حيث لم نؤت غيرهم مثل ما آتين١هم بينات آيات ومعجزات من الأمر من أمر الدين، فما وقع بينهم الخلاف في الدين إلا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم. وإنما اختلفوا لبغى حدث بينهم، أو لعداوة وحسد.

[سورة الجاثية (٤٥) : الآيات ١٨ الى ١٩]

ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩)

على شريعة على طريقة ومنهاج من الأمر من أمر الدين، فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج، ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء الجهال. ودينهم المبنى على هوى وبدعة، وهم رؤساء قريش حين قالوا. ارجع إلى دين آبائك. ولا توالهم، إنما يوالى الظالمين من هو ظالم مثلهم، وأما المتقون: فوليهم الله وهم موالوه. وما أبين الفصل بين الولايتين.

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٤٣/٧

[سورة الجاثية (٤٥) : آية ٢٠]

هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون (٢٠)

هذا ا لقرآن بصائر للناس جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب. كما جعل روحا وحياة وهو هدى من الضلالة، ورحمة من العذاب لمن آمن وأيقن.

وقرئ: هذه بصائر، أى: هذه الآيات.." (١)

"تعديدها، وهذه إشارة إلى المن والسلوى، وطيبات الشام بعد، إذ هي الأرض المباركة، وقد تقدم القول في معنى الطيبات، وتلخيص قول مالك والشافعي في ذلك.

وقوله تعالى: على العالمين يريد على عالم زمانهم. والبينات من الأمر: هو الوحي الذي فصلت لهم به الأمور.

ثم أوضح تعالى خطأهم وعظمه بقوله: فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وذلك أنهم لو اختلفوا اجتهادا في طلب صواب لكان لهم عذر في الاختلاف، وإنما اختلفوا بغيا وقد تبينوا الحقائق، ثم توعدهم تعالى بوقف أمرهم على قضائه بينهم يوم القيامة.

قوله عز وجل:

[سورة الجاثية (٤٥) : الآيات ١٨ الى ٢١]

ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩) هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون (٢٠) أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون (٢١)

المعنى: ثم جعلناك على شريعة، فلا محالة أنه سيختلف عليك كما تقدم لبني إسرائيل فاتبع شريعتك، والشريعة في كلام العرب: الموضع الذي يرد فيه الناس في الأنهار والمياه ومنه قول الشاعر:

[البسيط] .

وفي الشرائع من جلان مقتنص ... رث الثياب خفي الشخص منسرب

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٢٨٩

فشريعة الدين هي من ذلك، كأنها من حيث يرد الناس أمر الحدود ورحمته والقرب منه. وقال قتادة: الشريعة: الفرائض والحدود والأمر والنهي.

وقوله: من الأمر يحتمل أن يكون واحد الأمور أي من دون الله ونبواته التي بثها في سالف الزمان، ويحتمل أن يكون مصدرا من أمر يأمر، أي على شريعة من الأوامر والنواهي، فسمى جميع ذلك أمرا. والذين لا يعلمون هم الكفار الذين كانوا يريدون صرف محمد صلى الله عليه وسلم إلى إرادتهم. و: يغنوا من الغناء، أي لن يكون لهم عنك دفاع. ثم حقر تعالى شأن الظالمين مشيرا بذلك إلى كفار قريش، ووجه التحقير أنه قال: هؤلاء يتولى بعضهم بعضا، والمتقون يتولاهم الله، فخرجوا عن ولاية الله وتبرأت منهم، ووكلهم الله بعضهم إلى بعض.

وقوله تعالى: هذا بصائر يريد القرآن. والبصائر جمع بصيرة، وهي المعتقد الوثيق في الشيء، كأنه مصدر من إبصار القلب، فالقرآن فيه بيانات ينبغي أن تكون بصائر. والبصيرة في كلام العرب:

الطريقة من الدم، ومنه قول الشاعر يصف جده في طلب الثأر وتواني غيره: [الكامل]." (١)

"قوله تعالى: ويل لكل أفاك أثيم روى أبو صالح عن ابن عباس أنها نزلت في النضر بن الحارث.

وقد بينا معناها في الشعراء «١» ، والآية التي تليها مفسرة في لقمان «٢» .

قوله تعالى: وإذا علم من آياتنا شيئا قال مقاتل: معناه: إذا سمع. وقرأ ابن مسعود: «وإذا علم» برفع العين وكسر اللام وتشديدها. قوله تعالى: اتخذها هزوا أي: سخر منها، وذلك كفعل أبي جهل حين نزلت: إن شجرة الزقوم طعام الأثيم «٣» فدعا بتمر وزبد، وقال: تزقموا فما يعدكم محمد إلا هذا، وإنما قال: أولئك لأنه رد الكلام إلى معنى «كل» . من ورائهم جهنم قد فسرناه في إبراهيم «٤» ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا من الأموال، ولا ما عبدوا من الآلهة. قوله تعالى: هذا هدى يعني القرآن والذين كفروا به، لهم عذاب من رجز أليم قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم:

«أليم» بالرفع على نعت العذاب. وقرأ الباقون: بالكسر على نعت الرجز. والرجز بمعنى العذاب، وقد شرحناه في الأعراف «٥» . قوله تعالى: جميعا منه أي: ذلك التسخير منه لا من غيره، فهو من فضله.

وقرأ عبد الله بن عمرو، وابن عباس، وأبو مجلز، وابن السميفع، وابن محيصن، والجحدري: «جميعا منة» بفتح النون وتشديدها وتاء منصوبة منونة. وقرأ سعيد بن جبير: «منه» بفتح الميم ورفع النون والهاء مشددة النون.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٨٤/٥

[سورة الجاثية (٤٥) : الآيات ١٤ الى ٢٢]

قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون (١٤) من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون (١٥) ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين (١٦) وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (١٧) ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨)

إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩) هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون (٢٠) أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون (٢١) وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون (٢٢)

قوله تعالى: قل للذين آمنوا يغفروا ... الآية، في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أنهم نزلوا في غزاة بني المصطلق على بئر يقال لها: «المريسيع» ، فأرسل عبد الله بن أبي غلامة ليستقي الماء، فأبطأ عليه، فلما أتاه قال له: ما حبسك؟ قال: غلام عمر، ما ترك أحدا يستقي حتى ملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب أبي بكر، وملأ لمولاه، فقال عبد الله: ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل: سمن كلبك يأكلك، فبلغ قوله عمر، فاشتمل سيفه يريد التوجه إليه، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء

---

(١) الشعراء: ٢٢٢.

(٢) لقمان: ٧. [.....]

(٣) الدخان: ٤٣- ٤٤.

(٤) إبراهيم: ١٦.

(٥) الأعراف: ١٣٤.." (١)

"وروى ميمون بن مهران أن فنحاص اليهودي لما أنزل قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا [البقرة: ٢٤٥] قال احتاج رب محمد، فسمع بذلك عمر فاشتمل على سيفه وخرج في طلبه، فبعث النبي صلى

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٩٧/٤

الله عليه وسلم في طلبه حتى رده،

وقوله للذين لا يرجون أيام الله قال ابن عباس لا يرجون ثواب الله ولا يخافون عقابه ولا يخشون مثل عقاب الأمم الخالية، وذكرنا تفسير أيام الله عند قوله وذكرهم بأيام الله [إبراهيم: ٥] وأكثر المفسرين يقولون إنه منسوخ، وإنما قالوا ذلك لأنه يدخل تحت الغفران أن لا يقتلوا، فلما أمر الله بهذه المقاتلة كان نسخا، والأقرب أن يقال إنه محمول على ترك المنازعة في المحقرات على التجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية والأفعال الموحشة.

ثم قال تعالى: ليجزي قوما بما كانوا يكسبون أي لكي يجازي بالمغفرة قوما يعملون الخير، فإن قيل: ما الفائدة في التنكير في قوله ليجزي قوما مع أن المراد بهم هم المؤمنون المذكورون في قوله قل للذين آمنوا؟ قلنا التنكير يدل على تعظيم شأنهم كأنه قيل: ليجزي قوما وأي قوم من شأنهم الصفح عن السيئات والتجاوز عن المؤذيات وتحمل الوحشة وتجرع المكروه، وقال آخرون معنى الآية قل للمؤمنين يتجاوزوا عن الكفار، ليجزي الله الكفار بما كانوا يكسبون من الإثم، كأنه قيل لهم لا تكافئوهم أنتم حتى نكافئهم نحن، ثم ذكر الحكم العام فقال: من عمل صالحا/ فلنفسه وهو مثل ضربه الله للذين يغفرون ومن أساء فعليها مثل ضربه للكفار الذين كانوا يقدمون على إيذاء الرسول والمؤمنين وعلى ما لا يحل، فبين تعالى أن العمل الصالح يعود بالنفع العظيم على فاعله، والعمل الرديء يعود بالضرر على فاعله، وأنه تعالى أمر بهذا ونهى عن ذلك لحظ العبد لا لنفع يرجع إليه، وهذا ترغيب منه في العمل الصالح وزجر عن العمل الباطل.

[سورة الجاثية (٤٥) : الآيات ١٦ الى ٢١]

ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين (١٦) وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (١٧) ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩) هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون (٢٠)

أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون (٢١)

اعلم أنه تعالى بين أنه أنعم بنعم كثيرة على بني إسرائيل، مع أنه حصل بينهم الاختلاف على سبيل البغي والحسد: والمقصود أن يبين أن طريقة قومه كطريقة من تقدم.

واعلم أن النعم على قسمين: نعم الدين، ونعم الدنيا، ونعم الدين أفضل من نعم الدنيا، فلهذا/ بدأ الله تعالى بذكر نعم الدين، فقال ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة والأقرب أن كل واحد من هذه الثلاثة يجب أن يكون مغايرا لصاحبه، أما الكتاب فهو التوراة، وأما الحكم ففيه وجوه، يجوز أن يكون." (١)

"الإساءة أو ما يعمهما. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي «لنجزي» بالنون وقرئ «ليجزي قوم» و «ليجزي قوما» أي ليجزي الخير أو الشر أو الجزاء، أعني ما يجزى به لا المصدر فإن الإسناد إليه سيما مع المفعول به ضعيف.

من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها أي لها ثواب العمل وعليها عقابه. ثم إلى ربكم ترجعون فيجازيكم على أعمالكم.

[سورة الجاثية (٤٥) : الآيات ١٦ الى ١٧]

ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين (١٦) وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (١٧)

ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب التوراة. والحكم والحكمة النظرية والعملية أو فصل الخصومات.

والنبوة إذ كثر فيهم الأنبياء ما لم يكثروا في غيرهم. ورزقناهم من الطيبات مما أحل الله من اللذائذ.

وفضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت غيرهم.

وآتيناهم بينات من الأمر أدلة في أمر الدين ويندرج فيها المعجزات. وقيل آيات من أمر النبي عليه الصلاة والسلام مبينة لصدقه. فما اختلفوا في ذلك الأمر. إلا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال.

بغيا بينهم عداوة وحسدا. إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بالمؤاخذة والمجازاة.

[سورة الجاثية (٤٥) : الآيات ١٨ الى ١٩]

ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩)

ثم جعلناك على شريعة طريقة من الأمر من أمر الدين. فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦٧٤/٢٧

ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** آراء الجهال التابعة للشهوات، وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع إلى دين آبائك.

إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما أراد بك. وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض إذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع أهوائهم. والله ولي المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة.

[سورة الجاثية (٤٥) : الآيات ٢٠ الى ٢١]

هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون (٢٠) أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون (٢١)

هذا أي القرآن أو اتباع الشريعة. بصائر للناس بينات تبصرهم وجه الفلاح. وهدى من الضلالة. ورحمة ونعمة من الله. لقوم يوقنون يطلبون اليقين.

أم حسب الذين اجترحوا السيئات

أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها إنكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة. أن نجعلهم

أن نصيرهم. كالذين آمنوا وعملوا الصالحات

مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله: سواء محياهم ومماتهم

بدل منه إن كان الضمير للموصول الأول لأن المماثلة فيه إذ المعنى انكار أن يكون حياتهم ومماتهم سيين في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين، ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سوآء بالنصب على البدل أو الحال من الضمير في الكاف، أو المفعولية والكاف حال وإن كان للثاني فحال منه أو استئناف يبين المقتضى للانكار، وإن كان لهما فبدل أو حال من الثاني، وضمير الأول والمعنى إنكار أن يستووا بعد الممات في الكرامة أو ترك المؤاخذة كما استووا في الرزق والصحة في الحياة،." (١)

"ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨)

﴿ثم جعلناك﴾ بعد اختلاف أهل الكتاب ﴿على شريعة﴾ على طريقة ومنهاج ﴿من الأمر﴾ من أمر الدين ﴿فاتبعها﴾ فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج والدلائل ﴿ولا تتبع." (٢)

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٠٧/٥

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣٠١/٣

"[سورة الجاثية (٤٥): الآيات ١٨ الى ٢٣]

ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩) هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون (٢٠) أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون (٢١) وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون (٢٢)

أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون (٢٣)

ثم جعلناك يا محمد على شريعة أي على طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى من الأمر أي من الدين فاتبعها أي اتبع شريعتك الثابتة ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** يعني مراد الكافرين وذلك أنهم كانوا يقولون له أرجع إلى دين آبائك فإنهم كانوا أفضل منك قال الله تعالى: إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا أي لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا إن اتبعت أهواءهم وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض يعني إن الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا ولأولى لهم في الآخرة والله ولي المتقين أي هو ناصرهم في الدنيا ووليهم في الآخرة هذا يعني القرآن بصائر للناس أي معالم للناس في الحدود والأحكام يبصرون به وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا السيئات أي اكتسبوا المعاصي والكفر أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات نزلت في نفر من مشركي مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا سواء محياهم ومماتهم

معناه أحسبوا أن حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم سواء كلا والمعنى أن المؤمن مؤمن في محياه ومماته في الدنيا والآخرة والكافر كافر في محياه ومماته في الدنيا والآخرة وشتان ما بين الحالين في الحال والمآل ساء ما يحكمون

أي بئس ما يقضون قال مسروق قال لي رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الداري ولقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكي أم حسب الذين اجترحوا السيئات

الآية وخلق الله السماوات والأرض بالحق أي بالعدل ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ومعنى الآية أن المقصود من خلق هذا العالم إظهار العدل والرحمة ذلك لا يتم إلا في القيامة ليحصل التفاوت بين

المحققين والمبطلين في الدرجات والدركات.
قوله عز وجل: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه قال ابن عباس: اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا إلا ركبه لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ما تهواه نفسه وذلك أن العرب كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة فإذا رأوا شيئا أحسن من الأول رموا بالأول وكسروه وعبدوا الآخر وقيل إنما سمي هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار وأضله الله على علم أي علما منه بعاقبة أمره وقيل على ما سبق في علم الله أنه ضال قبل أن يخلقه وختم على سمعه وقلبه أي فلم يسمع الهدى ولم يعقله بقلبه وجعل على بصره غشاوة يعني ظلمة فهو لا يبصر الهدى فمن يهديه من بعد الله أي من بعد أن أضله الله أفلا تذكرون قال الواحدي ليس يبقى للقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة لأن الله صرح بمنعه إياه عن الهدى حتى أخبر أنه ختم على سمعه وقلبه وبصره.." (١)

"قد بينا الآيات لقوم يوقنون: أي أوضحنا الآيات، فاقتراح آية مع تقدم مجيء آيات وإيضاحها، إنما هو على سبيل التعنت. هذا، وهي آيات مبينات، لا لبس فيها، ولا شبهة، لشدة إيضاحها. لكن لا يظهر كونها آيات إلا لمن كان موقنا، أما من كان في ارتياب، أو شك، أو تغافل، أو جهل، فلا ينفع فيه الآيات، ولو كانت في غاية الوضوح.
ألا ترى إلى قولهم: إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون «١» ؟ وقول أبي جهل، وقد سأل أهل البوادي الوافدين إلى مكة عن انشقاق القمر، فأخبروه به، فقال بعد ذلك:
هذا سحر مستمر. ولما ذكر أن اقتراح ما تقدم إنما هو من **أهواء الذين لا يعلمون**، قال في آخرها: لقوم يوقنون. والإيقان: وصف في العلم يبلغ به نهاية الوثاقة في العلم، أي من كان موقنا، فقد أوضحنا له الآيات، فآمن بها، ووضحت عنده، وقامت به الحجة على غيره. وفي جمع الآيات رد على من اقترح آية، إذ الآيات قد بينت، فلم يكن آية واحدة، فيمكن أن يدعى الالتباس فيها، بل ذلك جمع آيات بينات، لكن لا ينتفع بها إلا من كان من أهل العلم والتبصر واليقين.
إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا: بشيرا لمن آمن، ونذيرا لمن كفر. وهذه الآية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه كان يضيق صدره لتماديهم على ضلالهم. ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما ذكر أنه بين الآيات، ذكر من بينت على يديه، فأقبل عليه وخاطبه صلى الله عليه وسلم ليعلم أنه هو صاحب الآيات فقال: إنا أرسلناك بالحق، أي بالآيات الواضحة، وفسر الحق هنا بالصدق وبالقرآن وبالإسلام. وبالحق في

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/١٢٤

موضع الحال، أي أرسلناك ومعك الحق لا يزايلك. وانتصاب بشيرا ونذيرا على الحال من الكاف، ويحتمل أن يكون حالا من الحق، لأن ما جاء به من الحق يتصف أيضا بالبشارة والنذارة. والأظهر الأول. وعدل إلى فعيل للمبالغة، لأن فعيلا من صفات السجايا، والعدل في بشير للمبالغة، مقيس عند سيبويه، إذا جعلناه من بشر لأنهم قالوا بشر مخففا، وليس مقيسا في نذير لأنه من أنذر، ولعل محسن العدل فيه كونه معطوفا على ما يجوز ذلك فيه، لأنه قد يسوغ في الكلمة مع الاجتماع مع ما يقابلها ما لا يسوغ فيها لو انفردت، كما قالوا: أخذه ما قدم وما حدث وشبهه.

ولا تسئل عن أصحاب الجحيم: قراءة الجمهور: بضم التاء واللام. وقرأ أبي:

---

(١) سورة الحجر: ١٥/ ١٥. [.....]." (١)

"سورة الجاثية

[سورة الجاثية (٤٥) : الآيات ١ الى ٣٧]

بسم الله الرحمن الرحيم

حم (١) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (٢) إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين (٣) وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون (٤)

واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون (٥) تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون (٦) ويل لكل أفاك أثيم (٧) يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم (٨) وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين (٩)

من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم (١٠) هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم (١١) الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٢) وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (١٣) قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون (١٤)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥٨٨/١

من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون (١٥) ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين (١٦) وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (١٧) ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩)

هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون (٢٠) أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون (٢١) وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون (٢٢) أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون (٢٣) وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون (٢٤)

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين (٢٥) قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٢٦) ولله ملك السماوات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون (٢٧) وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون (٢٨) هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون (٢٩)

فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين (٣٠) وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين (٣١) وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين (٣٢) وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (٣٣) وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين (٣٤)

ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون (٣٥) فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين (٣٦) وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم (٣٧)." (١)

"وينصب المفعول به الصريح، وهو قوما ونظيره: ضرب بسوط زيدا ولا يجيز ذلك الجمهور. وخرجت هذه القراءة على أن يكون بني الفعل للمصدر، أي وليجزى الجزاء قوما. وهذا أيضا لا يجوز عند الجمهور،

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٩/٤١٠

لكن يتأول على أن ينصب بفعل محذوف تقديره يجزي قوما، فيكون جملتان، إحداهما: ليجزى الجزاء قوما، والأخرى: يجزيه قوما وقوما هنا يعني به الغافرين، ونكره على معنى التعظيم لشأنهم، كأنه قيل: قوما، أي قوم من شأنهم التجاوز عن السيئات والصفح عن المؤذيات وتحمل الوحشة. وقيل: هم الذين لا يرجون أيام الله، أي بما كانوا يكسبون من الإثم، كأنه قيل: لم تكافئوهم أنتم حتى نكافئهم نحن.

من عمل صالحا كهؤلاء الغافرين، ومن أساء كهؤلاء الكفار، وأتى باللام في فلنفسه، لأن المحاب والحظوظ تستعمل فيها على الدالة على العلو والقهر، كما تقول:

الأمور لزيد متأنية وعلى عمرو مستصعبة. والكتاب: التوراة، والحكم: الفضاء، وفصل الأمور لأن الملك كان فيهم. قيل: والحكم: الفقه. ويقال: لم يتسع فقه الأحكام على نبي، كما اتسع على لسان موسى من الطيبات المستلذات الحلال، وبذلك تتم النعمة، وذلك المن والسلوى وطيبات الشام، إذ هي الأرض المباركة. بينات: أي دلائل واضحة من الأمر، أي من الوحي الذي فصلت به الأمور. وعن ابن عباس: من الأمر، أي من أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه يهاجر من تهامة إلى يثرب. وقيل معجزات موسى. فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم: تقدم تفسيره في الشورى.

ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين، هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون. أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون، وخلق الله السماوات و الأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون، أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون، وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون. وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين. قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون.." (١)

"لما ذكر تعالى إنعامه على بني إسرائيل واختلافهم بعد ذلك، ذكر حال نبيه عليه الصلاة والسلام وما من به عليه من اصطفائه فقال: ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء. قال قتادة: الشريعة: الأمر، والنهي، والحدود، والفرائض. وقال مقاتل: البينة، لأنها طريق إلى الحق. وقال الكلبي: السنة، لأنه كان يستن بطريقة من قبله من الأنبياء. وقال ابن زيد: الدين، لأنه طريق إلى النجاة. والشريعة

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤١٨/٩

في كلام العرب:

الموضع الذي يرد فيه الناس في الأنهار والمياه، ومنه قول الشاعر:

وفي الشرائع من جيلان مقتنص ... رب الثياب خفي الشخص منسرب

فشريعة الدين من ذلك، من حيث يرد الناس أمر الله ورحمته والقرب منه، من الأمور التي من دين الله الذي بعثه في عباده في الزمان السالف أو يكون مصدر أمر، أي من الأمر والنهي، وسمي النهي أمرا. **أهواء الذين لا يعلمون**، قيل: جهال قريظة والنضير.

وقيل: رؤساء قريش، حين قالوا: أرجع إلى دين آبائك. هذا بصائر: أي هذا القرآن جعل ما نافية من معالم الدين، بصائر للقلوب، كما جعل روحا وحياة. وقرىء: هذي، أي هذه الآيات. أم حسب

: أم منقطعة تتقدر ببل والهمزة، وهو استفهام إنكار.

وقال الكلبي: نزلت في علي، وحمزة، وعبيدة بن الحرث، وفي عتبة، وشيبة، والوليد بن عتبة.

قالوا للمؤمنين: والله ما أنتم على شيء، ولئن كان ما تقولون حقا، لحالنا أفضل من حالكم في الآخرة كما هو أفضل في الدنيا. واجترحوا: اكتسبوا، والسيئات: هنا سيئات الكفر ونجعلهم: نصيرهم، والمفعول الثاني هو كالذين، وبه تمام المعنى. وقرأ الجمهور: سواء بالرفع، ومماتهم بالرفع أيضا وأعربوا سواء: مبتدأ، وخبره ما بعده، ولا مسوغ لجواز الابتداء به، بل هو خبر مقدم، وما بعده المبتدأ. والجملة خبر مستأنف واحتمل الضمير في محياهم ومماتهم

أن يعود على الذين اجترحوا

، أخبر أن حالهم في الزمانين سواء، وأن يعود على المجترحين والصالحين بمعنى: أن محيا المؤمنين ومماتهم سواء في إهانتهم عند الله وعدم كرامتهم عليه، ويكون اللفظ قد لف هذا المعنى، وذهن السامع يفرقه، إذ قد تقدم إبعاد الله أن يجعل هؤلاء كهؤلاء. قال أبو الدرداء: يبعث الناس على ما ماتوا عليه. وقال مجاهد: المؤمن يموت مؤمنا ويبعث مؤمنا ٧ والكافر يموت كافرا ويبعث كافرا.

وقال ابن عطية: مقتضى هذا الكلام أنه لفظ الآية ويظهر لي أن قوله: سواء محياهم ومماتهم داخل في المحسنة المنكرة السيئة، وهذا احتمال حسن، والأول أيضا." (١)

"ثم قال تعالى: ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض﴾ أي: من الكواكب والجبال، والبحار والأنهار، وجميع ما تنتفعون به، أي: الجميع من فضله وإحسانه وامتنانه؛ ولهذا قال: ﴿جميعا منه﴾ أي:

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤١٩/٩

من عنده وحده لا شريك له في ذلك، كما قال تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾ [النحل: ٥٣] .

وروى ابن جرير من طريق العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه﴾ كل شيء هو من الله، وذلك الاسم فيه اسم من أسمائه، فذلك جميعا منه، ولا ينازعه فيه المنازعون، واستيقن أنه كذلك.

وقال (١) ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن خلف العسقلاني، حدثنا الفرياني، عن سفيان، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن أبي أراكة قال: سأل رجل عبد الله بن عمرو قال: مم خلق الخلق؟ قال: من النور والنار، والظلمة والثرى. قال وائت ابن عباس فاسأله. فأتاه فقال له مثل ذلك، فقال: ارجع إليه فسله: مم خلق ذلك كله؟ فرجع إليه فسأله، فتلا ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه﴾ هذا أثر غريب، وفيه نكارة.

﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾

وقوله: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ أي: يصفحوا عنهم ويحملوا (٢) الأذى منهم. وهذا كان في ابتداء الإسلام، أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب، ليكون ذلك لتأليف قلوبهم (٣) ، ثم لما أصروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد. هكذا روي عن ابن عباس، وقتادة.

وقال مجاهد [في قوله] (٤) ﴿لا يرجون أيام الله﴾ لا يبالون (٥) نعم الله.

وقوله: ﴿ليجزي قوما بما كانوا يكسبون﴾ أي: إذا صفحوا (٦) عنهم في الدنيا، فإن الله مجازيهم بأعمالهم السيئة في الآخرة؛ ولهذا قال: ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون﴾ أي: تعودون إليه يوم القيامة فتعرضون بأعمالكم [عليه] (٧) فيجزيكم بأعمالكم خيرها وشرها.

﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين (١٦) وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (١٧) ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩) هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون (٢٠) ﴾

---

(١) في ت: "وروى".

(٢) في أ: "ويحتملوا".

(٣) في ت، م، أ: "كالتأليف لهم".

(٤) زيادة من أ.

(٥) في أ: "ينالون".

(٦) في أ: "أي اصفحوا".

(٧) زيادة من ت، م، أ.." (١)

"يذكر تعالى ما أنعم به على بني إسرائيل من إنزال الكتب عليهم وإرسال الرسل إليهم، وجعله الملك فيهم؛ ولهذا قال: ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات﴾ أي: من المآكل والمشارب، ﴿وفضلناهم على العالمين﴾ أي: في زمانهم.

﴿وآتيناهم بينات من الأمر﴾ أي: حججا وبراهين وأدلة قاطعات، فقامت (١) عليهم الحجج ثم اختلفوا بعد ذلك من بعد قيام الحجة، وإنما كان ذلك بغيا منهم على بعضهم بعضا، ﴿إن ربك﴾ يا محمد ﴿يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ أي: سيفصل بينهم بحكمه العدل. وهذا فيه تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم، وأن تقصد منهجهم؛ ولهذا قال: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها﴾ أي: اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو، وأعرض عن المشركين، وقال هاهنا: ﴿ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾ أي: وماذا تغني (٢) عنهم ولايتهم لبعضهم بعضا، فإنهم لا يزيدونهم إلا خسارا ودمارا وهلاكا، ﴿والله ولي المتقين﴾ ، وهو تعالى يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات.

ثم قال: ﴿هذا بصائر للناس﴾ يعني: القرآن ﴿وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾

﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون (٢١) وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون (٢٢) ﴾

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٧/٢٦٦

(١) في ت: "فقامت به".

(٢) في ت: "وما يغني".." (١)

"وقوله تعالى: إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون قال الغزالي في «الإحياء» : الفكر والذكر أعلى مقامات الصالحين، وقال- رحمه الله-: اعلم أن الناظرين بأنوار البصيرة علموا أن لا نجاة إلا في لقاء الله عز وجل، وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محبا لله تعالى، وعارفا به، وأن المحبة والأنس لا يتحصلان إلا بدوام ذكر المحبوب، وأن المعرفة لا تحصل إلا بدوام الفكر، ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة، ثم قال: والقرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر، انتهى.

[سورة الجاثية (٤٥) : الآيات ١٤ الى ١٧]

قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون (١٤) من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون (١٥) ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين (١٦) وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (١٧)

وقوله تعالى: قل للذين آمنوا يغفروا ... الآية، قال أكثر الناس: هذه الآية منسوخة بآية القتال، وقالت فرقة: بل هي محكمة قال ع «١» : الآية تتضمن الغفران عموما، فينبغي أن يقال: «إن الأمور العظام، كالقتل والكفر مجاهرة ونحو ذلك- قد نسخت غفرانه، آية السيف والجزية، وما أحكمه الشرع لا محالة، وأن الأمور الحقيرة كالجفاء في القول ونحو ذلك تحتمل أن تبقى محكمة، وأن يكون العفو عنها أقرب إلى التقوى.

وقوله أيام الله قالت فرقة: معناه: أيام إنعامه، ونصره، وتنعيمه/ في الجنة، وغير ذلك، وقال مجاهد: أيام الله: أيام نقمه وعذابه «٢» ، وباقي الآية بين.

وقوله سبحانه: فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ... الآية، قد تقدم بيان نظيرها في سورة يونس وغيرها.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٧/٢٦٧

[سورة الجاثية (٤٥) : الآيات ١٨ الى ٢٠]

ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩) هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون (٢٠)

- ينظر: «الشواذ» ص: (١٣٩) ، و «المحتسب» (٢/ ٢٦٢) ، و «الكشاف» (٤/ ٢٨٨) ، و «المحرر» (٥/ ٨٢) . [.....]

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٨/ ٨٢) .

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٨٣) .." [1]

"(اتخذها هزوا)، مقتضى الظاهر ضمير المذكر الراجع إلى شيئا فأنثه لأن الشيء للآية أو لأنه راجع إلى الآيات، بمعنى إذا علم شيئا أنه من جملة الآيات، تجاوز في الاستهزاء إلى جميع الآيات إجمالا، (أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم): من خلفهم، (جهنم)، فإنه بعد آجالهم، أو من أمامهم، (ولا يغني): لا يدفع، (عنهم ما كسبوا شيئا)، من العذاب، (ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء)، أي: الأصنام، (ولهم عذاب عظيم هذا): القرآن، (هدى): كامل في الهداية، (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز): هو أشد العذاب، (أليم).

* * *

(الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٢) وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (١٣) قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون (١٤) من عمل صالحا فلنفسه ومن أس اء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون (١٥) ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين (١٦) وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (١٧) ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨)." [2]

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢٠٦/٥

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ١١٢/٤

"﴿ثم جعلناك على شريعة﴾ أي سنة وطريقة عظيمة الشأن

﴿من الأمر﴾ أي أمر الدين

﴿فاتبعها﴾ بإجراء أحكامها في نفسك وفي غيرك من غير إخلال بشيء منها

﴿ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ أي آراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه الصلاة والسلام ارجع إلى دين آبائك." (١)

"يكثر في غيرهم. ورزقناهم من الطيبات ما أحل الله لهم من اللذائذ، كالمن والسلوى، وغيره من الأرزاق، وفضلناهم على العالمين على عالمي زمانهم.

وآتيناهم بينات من الأمر دلائل ظاهرة من أمر الدين، ومعجزات قاهرة. قال ابن عباس: هو العلم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وما بين لهم من أمره، وأنه يهاجر من تهامة إلى يثرب، ويكون أنصاره أهل يثرب، فما اختلفوا في ذلك الأمر إلا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته وحقيته، فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا له، بغيا بينهم أي: عداوة وحسدا، حدث بينهم، لا شك وقع لهم فيه، إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة بالمؤاخذة والجزاء فيما كانوا فيه يختلفون من أمر الدين.

الإشارة: كانت بنو إسرائيل في أول أمرها متمسكة بكتاب ربها، عاملة بما شرعت لها أنبياؤها، فرفع الله بذلك قدرها، حتى تحاسدوا، وتهاجروا على الدنيا والرئاسة، فأعقبهم الله ذل الأبد، فهذه سنة الله تعالى في عباده، من تمسك بالكتاب والسنة، وزهد في الدنيا، وتواضع لعباد الله، رفعه الله وأعزه، فإذا خرج عن هذا الوصف انعكس حاله إلى أسفل، والعياذ بالله.

ولما ذكر شريعة موسى أعقبه بشريعة نبينا- صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقال:

[سورة الجاثية (٤٥) : الآيات ١٨ الى ٢٠]

ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩) هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون (٢٠)

يقول الحق جل جلاله: ثم جعلناك يا محمد بعد اختلاف أهل الكتاب، على شريعة على طريقة عظيمة الشأن، ومنهاج واضح من الأمر الدين، وأصل الشريعة في اللغة: مورد الماء، أي: الطريق الموصلة إليه، ثم

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٨/٧١

جعل للطريق الموصلة إلى حياة القلوب والأرواح لأن الماء به حياة الأشباح، فاتبعها بإجراء أحكامها في نفسك وفي غيرك، من غير إخلال بشيء منها. قال ابن عرفة: الخطاب له عليه السلام، والمراد غيره لأنه معلوم الاتباع التام، أو: دم على اتباعها. هـ.

ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** أي: لا تتبع آراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات، وهم رؤساء قريش، كانوا يقولون له صلى الله عليه وسلم: ارجع إلى دين آبائك. إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما أراد بك إن اتبعتهم، أي: لن ينفعونك بدفع ما ينزل بك بدلا من الله شيئا إن اتبعت أهواءهم، وإن الظالمين بعضهم أولياء." (١)

"بعض

فلا يواليهم ولا تتبع أهواءهم إلا من كان ظالما مثلهم، والله ولي المتقين أي: ناصر المتقين، الذين أنت قدوتهم، فدم على ما أنت عليه من توليته خاصة، والإعراض عما سواه بالكلية.

هذا بصائر للناس أي: هذا القرآن واتباع الشريعة بصائر لقلوب الناس، كما جعل روحا وحياة لها، فإن من تمسك بالكتاب والسنة، وأمعن فيها النظر، وعمل بمقتضاهما، فتحت بصيرته، وحيي قلبه، وهدى من الضلالة ورحمة من العذاب، لقوم يوقنون لمن كمل إيمانه وإيقانه بالأمور الغيبية.

الإشارة: الشريعة لها ظاهر وباطن، وهو لبها وخالصها، فالعامة أخذوا بظاهرها، فأخذوا بكل ما يبيحه ظاهر الشريعة من الرخص والسهولة، ولا نظر عندهم لقلوبهم من النقص والزيادة، والخاصة أخذوا بباطنها، فأخذوا منها بالمهم، وتركوا كل ما يفتنهم أو ينقص من نور إيقانهم، فوصلوا بذلك إلى حضرة ربهم، فيقال للمريد: ثم جعلناك على طريقة واضحة من أمر الخاصة، فاتبعها، ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** ما يزيد في قلوبهم وما ينقص. إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا إن أبعدك بميلك إليهم واتباع أغراضهم.

قال القشيري: إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا إن أراد بك نعمة، فلا يمنعها أحد، وإن أراد بك فتنة فلا يصرفها عنك أحد، فلا تعلق بمخلوق فكرك، ولا توجه ضميرك إلى شيء، وثق به، وتوكل عليه. هـ. وأهل الغفلة بعضهم أولياء بعض، يتوالون على حظوظ الدنيا وشهواتها، والله ولي المتقين الذين اتقوا كل ما يشغل عن الله، هذا بصائر للناس أي: سبب فتح بصائرهم، وهدى أي: إشارة لطريق الوصول، ورحمة للأرواح والقلوب، لقوم يوقنون، أي: لأهل اليقين الكبير.

قال القشيري: هذا بصائر للناس، أنوار البصيرة إذا تلألأت انكشفت دونها تهمة التجويز، ونظر الناس على

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٠٨/٥

مراتب، من نظر بنور نجومه، فهو صاحب عقل، ومن نظر بنور فراسته فهو صاحب ظن، يقويه لوح، ولكنه من وراء ستر، ومن نظر بيقين فهو على تحكم برهان، ومن نظر بعين إيمان فهو بوصف اتباع، ومن نظر بنور بصيرة، فهو على نهار، وشمسه طالعة، وشمسه عن السحاب مصحية. هـ.
ثم بين حال من لا يرجو أيام الله ومن يرجوه، فقال:

[سورة الجاثية (٤٥) : الآيات ٢١ الى ٢٢]
أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون (٢١) وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون (٢٢)." (١)

"قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة «فصلت» في الكلام على قوله - تعالى -: وقيضنا لهم قرناء الآية [٤١ \ ٢٥] .

قوله - تعالى -: ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون.
قد قدمنا الكلام عليه في «الصافات» في الكلام على قوله - تعالى -: فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون [٣٧ \ ٣٣] .

قوله - تعالى -: أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين.
قد قدمنا الآيات الموضحة له بكثرة في سورة «النمل» في الكلام على قوله - تعالى -: إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين [٢٧ \ ٨٠] .

قوله - تعالى -: فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم.
أمر الله - جل وعلا - نبيه - صلى الله عليه وسلم - في هذه الآية الكريمة أن يتمسك بهدي هذا القرآن العظيم، وبين له أنه على صراط مستقيم، أي طريق واضح لا اعوجاج فيه، وهو دين الإسلام الذي تضمنه هذا القرآن العظيم الذي أوحي إليه.
وما تضمنته هذه الآية الكريمة - قد جاء موضحا في آيات أخر من كتاب الله.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٠٩/٥

أما أمره بالتمسك بالقرآن العظيم – فقد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة «الكهف» في الكلام على قوله – تعالى –: واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته [١٨ \ ٢٧] .

وأما إخباره له – صلى الله عليه وسلم – على صراط مستقيم فمن الآيات التي أوضح ذلك فيها قوله – تعالى –: ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون [٤٥ \ ١٨] . وقوله – تعالى –: وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض [٤٢ \ ٥٢ – ٥٣] . وقوله – تعالى –: وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون [٢٣ \ ٧٣ – ٧٤] . وقوله – تعالى –: فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم [٢٢ \ ٦٧] . وقوله – تعالى –: فتوكل على الله إنك على الحق المبين [٢٧ \ ٧٩] . إلى غير ذلك من الآيات.." (١)

"تفضيل بني إسرائيل، وأنها بعد وجودها، صرح الله بأنها هي خير الأمم، كما أوضحنا. والعلم عند الله – تعالى –.

قوله – تعالى –: ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها.

وقد قدمنا الآيات الموضحة في سورة «الزخرف» في الكلام على قوله – تعالى –: فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم [٤٣ \ ٤٣] .

قوله – تعالى –: ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون.

نهى الله – جل وعلا – نبيه – صلى الله عليه وسلم – في هذه الآية الكريمة عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون.

وقد قدمنا في سورة «بني إسرائيل» في الكلام على قوله – تعالى –: لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا [١٧ \ ٢٢]– أنه – جل وعلا – يأمر نبيه محمدا – صلى الله عليه وسلم – وينهاه، ليشرع بذلك الأمر والنهي لأمته، كقوله هنا: ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون [٤٥ \ ١٨] .

ومعلوم أنه – صلى الله عليه وسلم – لا يتبع أهواء الذين لا يعلمون، ولكن النهي المذكور فيه التشريع لأمته، كقوله – تعالى –: ولا تطع منهم آثما أو كفورا [٧٦ \ ٢٤] . وقوله – تعالى –: فلا تطع المكذبين

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١٢٠/٧

[٦٨ \ ٨] . وقوله: ولا تطع كل حلاف مهين [٦٨ \ ١٠] . وقوله: ولا تجعل مع الله إلها آخر [١٧ \ ٣٩] . وقوله: لئن أشركت ليحبطن عملك [٣٩ \ ٦٥] . والآيات بمثل ذلك كثيرة.

وقد بينا الأدلة القرآنية على أنه - صلى الله عليه وسلم - يخاطب، والمراد به التشريع لأمته، في آية «بني إسرائيل» المذكورة.

وما تضمنته آية «الجاثية» هذه من النهي عن اتباع أهوائهم - جاء موضحا في آيات كثيرة، كقوله - تعالى - في «الشورى» : ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب [٤٢ \ ١٥] . وقوله - تعالى - في «الأنعام» : فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون [٦ \ ١٥٠] . وقوله - تعالى - في «القصص» : فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين [٢٨ \ ٥٠] . والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.." (١)

"كان فيهم ألف نبي أولهم موسى، وآخرهم عيسى ، (ورزقناهم من الطيبات) يعني: الحلال من الرزق؛ المن والسلوى تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٨٣٧) - .

(وفضلناهم على العالمين (١٦))

(٧٠٢٦٢) - قال عبد الله بن عباس: (وفضلناهم على العالمين) لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا أحب إليه منهم تفسير البغوي (٧) / (٢٤٣) - .

(٧٠٢٦٣) - قال مقاتل بن سليمان: (وفضلناهم على العالمين) يعني: عالمي ذلك الزمان، بما أعطاهم الله من التوراة فيها تفصيل كل شيء، والمن، والسلوى، والحجر، والغمام، وعمودا كان يضيء لهم إذا ساروا بالليل، وأنبت معهم ثيابهم لا تبلى، ولا تخرق، وظللنا عليهم الغمام، وفضلناهم على العالمين في ذلك الزمان تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٨٣٧) - .

(وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (١٧))

(٧٠٢٦٤) - قال مقاتل بن سليمان: (وآتيناهم آيات بينات) واضحات (من الأمر) يعني: أبين لهم في التوراة من الحلال والحرام والسنة وبيان ما كان قبلهم، ثم اختلفوا في الدين بعد يوشع بن نون؛ فآمن بعضهم، وكفر بعضهم، (فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم) يعني: البيان (بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١٩٩/٧

القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعني: في الدين يختلفون تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٨٣٨) - .
(ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨))
نزول الآية
(٧٠٢٦٥) - قال مقاتل بن سليمان: (ثم جعلناك على شريعة من الأمر) يعني: بينات من الأمر، وذلك أن كفار قريش قالوا للنبي - صلى الله عليه وسلم - : ارجع إلى ملة أبيك عبد الله،
(١) ".

"وجدك عبد المطلب، وسادة قومك - فأنزل الله: (ثم جعلناك على شريعة من الأمر) تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٨٣٨) - .
تفسير الآية
(٧٠٢٦٦) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عطية العوفي - (ثم جعلناك على شريعة من الأمر)، يقول: على هدى من الأمر، وبينة أخرجه ابن جرير (٢١) / (٨٥) - .
(٧٠٢٦٧) - قال الحسن البصري: (ثم جعلناك على شريعة من الأمر)، الشريعة: الفريضة ذكره يحيى بن سلام - كما في تفسير ابن أبي زمنين (٤) / (٢١٢) - - .
(٧٠٢٦٨) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - (ثم جعلناك على شريعة من الأمر)، قال: الشريعة: الفرائض، والحدود، والأمر، والنهي أخرجه ابن جرير (٢١) / (٨٥) - .
(٧٠٢٦٩) - قال مقاتل بن سليمان: (ثم جعلناك على شريعة من الأمر) يعني: بينة من الأمر، يعني: الإسلام؛ (فاتبعها) يقول الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - : اتبع هذه الشريعة، (ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**) يعني: كفار قريش، فيستزلونك عن أمر الله تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٨٣٨) - .
(٧٠٢٧٠) - عن عبد الملك ابن جريج، في قوله: (ثم جعلناك على شريعة)، قال: على طريقة عزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .
(٧٠٢٧١) - قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - في قوله: (ثم جعلناك على شريعة من الأمر)، قال: الشريعة: الدين - وقرأ: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك) [الشورى: (١٣)]، قال: فنوح أولهم، وأنت آخرهم أخرجه ابن جرير (٢١) / (٨٥) - ذكر ابن عطية ((٨)

(١) موسوعة التفسير المأثور معروف ٨٠/٣٧

/ (٥٩٧)) أن قوله: (من الأمر) يحتمل احتمالين: الأول: أن يكون واحد الأمور، أي: من دون الله ونبواته التي بثها في سالف الزمان – الثاني: أن يكون مصدرا من أمر يأمر، أي: على شريعة من الأوامر والنواهي، فسمى الله تعالى جميع ذلك أمرا – .

(إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩))

." (١)

"ووجه ابن عطية الفعل في (تأتيهم البينة) أنه من إيقاع المستقبل موقع الماضي «لأن باقي الشريعة وعظمها لم يرد بعد» – وذكر ابن جرير ((٢٤) / (٥٥٢)) قولا ثانيا، وأبهم قائليه، وهو أن المعنى: أن أهل الكتاب – وهم المشركون – لم يكونوا تاركين صفة محمد في كتابهم، حتى بعث، فلما بعث تفرقوا فيه – ورجحه مستندا إلى السياق، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: معنى ذلك: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين مفترقين في أمر محمد حتى تأتيهم البينة، – وهي إرسال الله إياه رسولا إلى خلقه – رسول من الله – ، واستؤنف قوله: (رسول من الله) وهي نكرة على البينة، وهي معرفة، كما قيل: (ذو العرش المجيد فعال) [البروج: (١٦)]، فقال: حتى يأتيهم بيان أمر محمد أنه رسول الله، ببعثه الله إياه إليهم، ثم ترجم عن البينة، فقال: تلك البينة (رسول من الله يتلو صحفا مطهرة)» – وذكر ابن عطية ((٨) / (٦٦٢) – (٦٦٣)) القولين، ثم بين احتمال الآية قولا ثالثا، فقال: «ويتجه في معنى الآية قول ثالث بارع المعنى، وذلك أن يكون المراد: لم يكن هؤلاء القوم منفكين من أمر الله تعالى وقدرته ونظره لهم حتى يبعث إليهم رسولا منذرا تقوم عليهم به الحجة، وتتم على من آمن النعمة – فكأنه قال: ما كانوا ليتركوا سدى – ولهذا نظائر في كتاب الله تعالى» – وذكر ابن تيمية ((٧) / (١٥٠)) الأقوال الثلاثة وأطال، فبين أن القول الأول أشهر عند المفسرين، وأنه أفاد أن الكفار من أهل الكتاب والمشركين لم يكونوا ليؤمنوا حتى يتبين لهم الحق بمجيء البينة، وهذا يتضمن مدحهم والثناء عليهم بعد مجيء البينة: «ولهذا احتاج من قاله إلى أن يقول: هذا فيمن آمن من الفريقين في أنه بيان لنعمة الله عليهم – وجعلوا قوله: (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) [البينة: (٤)] فيمن لم يؤمن منهم بمحمد – صلى الله عليه وسلم – » – وانتقد ابن تيمية ((٧) / (١٥٤) – (١٥٦)) هذا القول – مستندا إلى القرآن، والسنة، والواقع – «وذلك أنه معلوم بالتواتر أن أهل الكتاب اختلفوا وتفرقوا قبل إرسال محمد – صلى الله عليه وسلم – ، بل اليهود افترقوا قبل مجيء المسيح، ثم لما جاء المسيح اختلفوا فيه، ثم اختلف النصارى اختلافا آخر، فكيف يقال: إن قوله: (وما

---

(١) موسوعة التفسير المأثور معروف ٨١/٣٧

تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) [البينة: (٤)] هو فيمن لم يؤمن بمحمد منهم؟!» - وذكر كثيرا من الآيات والأحاديث الدالة على تفرق أهل الكتاب واختلافهم قبل مبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - من نحو قوله تعالى: (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) [الجاثية: (١٦) - (١٨)]، ومن نحو قوله - صلى الله عليه وسلم - : «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة - » الحديث - وذكر أيضا أن

". (١)

"المبحث الخامس عشر

" الحقيقة " حقيقة الدين : دين رب العالمين(١)

و " الحقيقة " حقيقة الدين : دين رب العالمين . هي ما اتفق عليها الأنبياء والمرسلون ؛ وإن كان لكل منهم شرعة ومنهاج .

ف " الشرعة " هي الشريعة قال الله تعالى : ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في مآ آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ (٤٨) سورة المائدة، وقال تعالى : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩) ﴾ [الجاثية/١٨، ١٩] .

و " المنهاج " هو الطريق قال تعالى : ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا (١٦) لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا (١٧) ﴾ [الجن/١٦-١٧] .

---

(١) -الفرقان بين أولياء الرحمن وأوليا الشيطان بتحقيقي ص٤٠٦ فما بعدها." (٢)

"

---

(١) موسوعة التفسير المأثور معروف ٤٢٢/٤٣

(٢) الخلاصة في شرح حديث الولي ص/١٩١

"المبحث الخامس عشر

" الحقيقة " حقيقة الدين : دين رب العالمين(رحمه الله١)

و " الحقيقة " حقيقة الدين : دين رب العالمين . هي ما اتفق عليها الأنبياء والمرسلون ؛ وإن كان لكل منهم شرعة ومنهاج .

ف " الشرعة " هي الشريعة قال الله تعالى : ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في مآ آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ (٤٨) سورة المائدة، وقال تعالى : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩) ﴾ [الجاثية/١٨، ١٩] .

و " المنهاج " هو الطريق قال تعالى : ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا (١٦) لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا (١٧) ﴾ [الجن/١٦-١٧] .

رحمه الله________________

(رحمه الله١) -الفرقان بين أولياء الرحمن وأوليا الشيطان بتحقيقي ص٤٠٦ فما بعدها." (١)

"أمرين لا ثالث لهما، إما الاستجابة لله والرسول وما جاء به، وإما اتباع الهوى، فكل ما لم يأت به الرسول فهو من الهوى.

وقال تعالى: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ [ص: ٢٦] فقسم سبحانه طريق الحكم بين الناس إلى الحق وهو الوحي الذي أنزله الله على رسوله، وإلى الهوى وهو ما خالفه.

وقال تعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم -: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون**﴾ [الجاثية: ١٨] ﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي

---

(١) الخلاصة في شرح حديث الولي، المؤلف غير معروف ص/١٩١

المتقين﴾ [الجاثية: ١٩] فقسم الأمر بين الشريعة التي جعله هو سبحانه عليها وأوحى إليه العمل بها وأمر الأمة بها وبين اتباع **أهواء الذين لا يعلمون**؛ فأمر بالأول، ونهى عن الثاني.

وقال تعالى ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾ [الأعراف: ٣] فأمر باتباع المنزل منه خاصة: واعلم أن من اتبع غيره فقد اتبع من دونه أولياء.

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ [النساء: ٥٩] فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله، وأعاد الفعل إعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقا، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أوتي الكتاب ومثله معه، ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالا، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول؛ إيذانا بأنهم إنما يطاعون تبعا لطاعة الرسول، فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته، ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة كما صح عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» وقال: «إنما الطاعة في المعروف» وقال في ولاة الأمور: «من أمركم منهم بمعصية الله فلا سمع له ولا طاعة» .

وقد «أخبر – صلى الله عليه وسلم – عن الذين أرادوا دخول النار لما أمرهم أميرهم بدخولها: إنهم لو دخلوا لما خرجوا منها» مع أنهم إنما كانوا يدخلونها طاعة لأميرهم، وظنا أن ذلك واجب عليهم، ولكن لما قصروا في الاجتهاد وبادروا إلى طاعة من أمر بمعصية الله وحملوا عموم الأمر بالطاعة بما لم يرده الآمر – صلى الله عليه وسلم – وما قد علم من." (١)

"فقسم سبحانه الحكم بين الناس إلى أمرين: إما الحكم بالحق الذي جاء به الكتاب والسنة، أو الهوى، وهو ما خالفهما.

وقال سبحانه لنبيه [صلى الله عليه وسلم] : ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع **أهواء الذين لا يعلمون** إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ وقال سبحانه: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾ .

وقد أجمع الناس سابقهم ولاحقهم أن الرد إلى كتاب الله سبحانه وإلى سنة رسوله، هو الواجب على جميع المسلمين. ومن رد إلى غيرهما فهو عاص لله ورسوله مخالف للكتاب العزيز، والسنة المطهرة.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم ٣٨/١

ولا فرق بين التنازع في الحقير والكثير. فإن قوله: فإن تنازعتم في شيء. نكرة في سياق الشرط، وهي من صيغ العموم، فتشمل كل ما يصدق [عليه] الشيء من الأشياء الشرعية.

فالواجب عند التنازع فيه رده إلى ما أمر الله بالرد إليه بقوله فردوه إلى الله والرسول، ثم قال: ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ .." (١)

(١) قطر الولي على حديث الولي = ولاية الله والطريق إليها الشوكاني ص/٣٠١